رواية

مراعبات شيطانية

أحمد فتحى رزق

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع

يسطرون
للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادى

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى
الكتاب : مداعبات شيطانية
المؤلف : أحمد فتحى رزق
تصنيف الكتاب : رواية
تصميم وإخراج : أحمد عبد الحليم
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ١٠٢٩٧ / ٢٠١٦
الترقيم الدولى : 978 - 977 - 776 - 239 - 7

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة

التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢

Email : yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهداء

إلى حسن الذى لا نعلم مكانة .

وفاطمة التى لا تغيب عنا حتى فى ذكراها

مقدمة

تتمثل أحداث الرواية فى التمسك ببعض الخرافات والأساطير دون إمعان النظر فى طبيعة المشكلة، أو مغافلة النفس عن السير نحو الأخذ بالأسباب كما أمرنا الله تعالى وسنن الحياة الكونية.

والشخوص تتعدد فى أزمنة مختلفة تمتد لعقود طويلة رغم الشعور بتطور الأحداث المتسارع. ومتابعة الأحداث السياسية بعيدا عن صلب وجوهر الموضوع، والتى أرغمت بطل روايتنا على التصديق بوجود الخرافة ومحاولة مسايرتها وفق مصالحه خوفا من الخروج على هامش المجتمع دون تحقيق أية أهداف من الحياة.

الفصل الأول

تتردد فاطمة بين الشباك والبلكون والمشربية بعد خروج والدها مع أخويها محمود وإبراهيم للعمل فى وكالتهم بمنطقة الغورى. كان البيت عجيبا فى بنائه إذ ترى الناس يمرون من تحت منزلها وكأنها تسكن كوبرى علويا فى أحد الميادين. تفرح كثيرا عندما ترى الشيخ رجب وهو ينادى على الفول والبليلة وتجرى بسرعة لأمها: عايزة بليلة يا أمى. وكانت تعطيها النقود وتنزل مسرعة للحاق بعم رجب.

— عم رجب عم رجب بنكلة بليلة وفول وكل حاجة لوحدها.

— من عينىَّ يافطومة، أبوك كويس يابت وأخواتك، يارب أشوفك عروسة.

وانخلعت والحياء يكسو وجهها دون أن ترد مسرعة نحو باب المنزل: مع السلامة.

صعدت السلم الضيق والفرحة تغمرها بما احتوت يداها من أطايب الطعام،ودقت الباب، ودخلت.

- البليلة السخنة والفول اللذيذ قرب قرب.

وفزعت الأم من ثورتها:

- إيه يابت ماتهدى شوية هتصحى أختك زينب، وعزيزة رايحة المدرسة كمان. تعالى ع المطبخ.

- ياأمى أنا عايزة أروح المدرسة زى عزيزة اشمعنى أنا وزينب شكلها كدة مأبدة ف البيت. والنبى والنبى طب والست فاطمة النبوية تكلمى أبويا وأخواتى.

بصرخة شديدة:

- قلتلك انك لازم تقعدى فى البيت عشان تساعدينى فى خدمة رجالتنا. الله يعينهم ويقويهم.

- خلاص مش واكلة ولاعايزة أى حاجة منكم. بكرة ييجى ابن الحلال ويخلصنى م العيشة الزفت دى.

الأم:

— يسمع منك ربنا ونرتاح من زنِّك.

انخرط الجميع فى طقوس الحياة اليومية المنزلية ونزلت عزيزة للمدرسة رغما عن رغبة فاطمة تحت شعار اشمعنى هى واحنا لأ.

وحان وقت الغذاء والمعلم عبد الجواد ذو الأصل التركى والوجه الأبيض المضئ، فقد كان محسودا من حسن طلعته وهيبته دائما.

تناول الجميع الطعام فى الغرفة المخصصة لذلك، وذهب الأب لغرفة نومه لقيلولته، ولحقت به الست نفيسة الوالدة الأم.

وتحدث الرجل:

— خالك عبد الحليم جانى النهاردة الوكالة وطلب إيد البت فطومة لواحد بيشتغل عنده فى المحلات وبيقول كسيب وابن ناس طيبين من الحدايق وأبوه راجل على قد حاله كدة عامل فرشة بطاطس وطعمية فى الميدان ومستورين والحمد لله، وباين كدة فلوسهم حلال.

وأكمل الرجل برغم دهشة الأم:

- بس أنا برضة مارضيتش أديله كلمة، قلت لما أشوف رأى البنت وأمها واخواتها. انتِ بقى إيه رأيك؟

الأم:

- الرأى رأيك ياسى عبمجيد انت عارف مصلحة البت أكتر منى. بس برضة نسألها. ولا إيه رأيك؟

الأب:

- طبعا لازم ده جواز وعيشة طول العمر. لما نقوم يحلها الحلال. يلا ياولية تعالى ف حضنى. ضهرى تاعبنى شوية النهاردة وإيدك شفا.

وبعد أن أسلما نفسيهما للنوم فزعا على صوت جلبة فى الشارع وصوت مذياع لخبر رحيل الملك وقيام حركة الضباط الأحرار.

نهض الرجل مفزوعا يلمم ملابسه المبعثرة من على السرير النحاسى الأصفر:

— قومى ياولية خلاص ربنا حقق الأمنية وهنبقى جمهورية.

أهملته قليلا مستغرقة فى نومها وسباتها العميق.

نـزل إلى الشـارع وكأنـه مصـرى خالـص، وفـرح كمـا فـرح الكثـيرون بقولتهـم. تحيـا مصـر. تحيـا مصـر. عـاش الضبـاط الأحـرار لسـنا عبيـد إحسـان الباشـاوات والأغـاوات. الحمـد لله ناصـر الحـق.

وجـاء صـوت أنـور السـادات مدويـا عـبر الإذاعـة المصريـة وإعـلان محمـد نجيـب رئيسـا للجمهوريـة.

وبعـد أن أخـذت الأحـداث مجراهـا وهـدأ الجميـع ورحـل الملـك واطمأنـت مصـر لمسـتقبلها جـاءت قـرارات التأميـم صاعقـة علـى البعـض منهـم، وإن كانـوا لا يجـدون قـوت يومهـم، وهـذا العريـس المنتظـر لفطومـة والـذى يعمـل لـدى إحـدى الجمعيـات الأهليـة لصناعـة الموبيليـا والديكـور وقتهـا، فقـد أوشـك علـى سـحب خطبتـه مـن ابنـة الصـون والعفـاف ابـن أخـت سـيده فى العمـل وصاحـب الفضـل عليـه فـى أمـور كثـيرة، وأقبـل علـى

الرجل طارحا له الحقيقة بأن ظروفه الآن لا تسمح وعمله معه فى المعارض لا يكفى لفتح بيت وإنجاب الأولاد، وكان يعتمد على مرتبه من جمعية الأثاث بجانب ما يُحصله منه.

واقترح عليه الحاج عبد الحميد النزوح معه لإحدى المحافظات القريبة من القاهرة حيث العمل والتجارة أفضل فى هذا الوقت حيث ضجيج الثورة والمدينة التى لن تهدأ قبل أعوام. وتركه يأخذ وقته الكافى من التفكير.

وبعد صلاة جمعة أحد الأيام فى مسجد سيدنا الحسن، وبعد دعوات وابتهال إلى الله بالتوفيق ذهب مسرعا ليخبره بعقد العزم على الرحيل معه شريطة أن يأخذ فطومة معه ويتما الزواج قبل رحيلهما.

وذهب بمفرده مع الأب الروحى له الحاج عبد الحليم وبصحبته أخت له وخاتم الزواج ومبلغ المهر الذى لم يكن يتعدى المئة جنيه يومها.

وبرغم أن فرح فطومة كان كبيرا إلا أنها كانت حزينة لبعدها عن أمها وإخوتها وقاهرة المعز التى تمتعت بطفولتها

بهـا فـى سـاحة الحسـين والأزهـر والغوريـة وخـان الخليلـى، ومنزلهـم الـذى يشـبه المركـب التى تسـبح فـى الفضـاء وعم رجب والبـت زوبـة وحـب العزيـز والـدوم والحرنكـش وغـزل البنـات. فقـد كانـت تظـن أنها ذاهبـة للأريـاف، فطمأنتهـا والدتهـا بأنها ذاهبـة لمدينـة صغـيرة كالقاهـرة وهـى سـياحية أيضـا يحضـر لهـا الأجانـب مـن كل صـوب واتجـاه للتمتـع بالشـمس ومياه البحـيرات الطبيعيـة التـى تمتـد لمسـاحات كبيرة منهـا. واطمأنت فاطمـة وشـرعت فـى تجهيـز أشـيائها الخاصـة التـى أصـرت علـى تجهيزهـا مـن شـارع الأزهـر كبنـات القصـور والباشـاوات، واكتملـت باقـى التجهيـزات للزفـاف. وحسـب الموعـد المتفـق عليـه تم عقـد القـران فـى مسـجد الإمـام الحسـين لينـال الجميـع بركـة حفيـد رسـول الله صلـى الله عليـه وسـلم، واسـتأجر الحـاج عبـد الحليـم السـوارس للوصـول لمحطـة مصـر ليسـتقلا القطـار ولينتقـل هـو وفاطمـة وأمهـا وفهمـى وأختـه إلى بيـت الزوجيـة المعـد والمفـروش سـلفا فـى تلـك المدينـة القريبـة مـن القاهـرة.

كانـت الشـقة فـى المنـزل المجـاور للحاج عبـد الحليـم وكانت بالـدور الأرضـى وقريبـة أيضـا من أحد مسـاجد العارفـين بالله من

الصوفية، فلم تشعر فاطمة بوحشة كما كانت متوقعة. ومر الأسبوع الأول من الزواج فى سعادة غامرة للطرفين. وكان الزوج دائما يحاول سد فراغ البعد عن عائلتها لكى لا تشعر بوحشة.

وخرج فهمى للعمل وكان مبتسما ضاحكا دائما ووجهه ممتلئ بالبشر والأمل فى التفوق وإنجاب الأطفال بسرعة كما هو متبع فى عائلته.

ويعود فترة العصر ليتناول طعام الغذاء ويستريح قليلا حيث مشقة العمل والمسئولية تجاه والده الروحى عبد الحليم التاجر الميسور الحال فى القطن وتجهيز العرائس والتنجيد وخلافه لأهل البلاد الريفية المجاورة للمدينة.

ذاع صيت فهمى لحرفيته ودماثة خلقه، ودخلت شياطين الإنس والجن بينه وبين كفيله ورب نعمته حتى افترقا، واستقل فهمى بمحل بنفس السوق ليعمل لحسابه مع باقى التجار والزبائن. وأصبحت له ورشة مستقلة، وله مساعدون وصبيان. وأصبح المعلم فهمى بمجهوده وكفاحه.

وذات يوم عاد للمنزل فوجد فاطمة تتأوه من الوجع وتتقيأ وتتألم من المغص فى بطنها. فأسرع إلى المستوصف القريب وعاد وجهه متهللا بخبر حمل زوجته المصون بهذه السرعة التى لم يتوقعها. ذهب للمسجد شاكرا حامدا الله على فضله متسلحا بالإيمان والصبر ليكمل رسالته مع هذه السيدة.

واحتفل بطريقته بهذا الحمل الميمون بشراء كيلو من الكبد الطارج وبعض الفاكهة وعاد مسرعا آخر اليوم ليحتضن أم محمد كما أسماها دون أن يعرف نوع المولود.

— تعالى ياأم محمد حتة كبدة تستاهل بقك لازم تتغذى ياولية. ياوش سعدى وهنايا.

وبشوية فلفل وحبة مستكة وحبهان وكان الأكل جاهزا. جلسا على الأرض ليأكلا بنفس حامدة راضية ويقشر لها الموزة تلو الأخرى ويضعها فى فمها حتى شعبت فاطمة.

وقالت له:

— لم أكن أعرف انك حنين قوى كدة ياسى فهمى. ربنا يخليك لى ومايحرمنى منك أبدا ويتربى محمد فى عزك.

فهمى : محمد بس. دول نص دستة إن شاء الله. وسمع ضحكهما الجيران.

ولما ظهرت بوادر الفجر نهض مسرعا فتوضأ ليذهب إلى المسجد ثم ليتابع عمله فى المحل. ورزقه الله بأحد مديرى المدارس ليتعاقد معه لتجهيز مجموعة كراسى ومكاتب وأدراج للتلاميذ والعاملين. وقبل يده من الناحيتين وقال:

— أحمد الله على كل حال. هذا رزق الواد محمد.

ومرت الشهور مسرعة بين عشق وحب وعمل وألم إلى أن وضعت وليدها الأول محمد فهمى كما توقع الأب. وكانت فرحة لا يسعها قلب أحد. وجاءت عائلة فاطمة من القاهرة للتباريك وعقد سبوع المولود وذبح العقيقة حسب السنة المتبعة.

ورأى الجميع كيف كانت سعادة فاطمة وزوجها بهذا المولود.

وكالعادة تمت مراسم السبوع واسمع كلام أمك وماتسمعش كلام أبوك.

وانصرف الجميع بفرحة لم تعهدها الأسرة من قبل وظل البيت هادئا إلا من بكاء الصبى.

خرج الرجل مبكرا بهمة ونشاط لعمله وتوالت الأحداث التى تخص ورشته التى يمتلكها، واقترب موعد تسليم أول طلبية له للمدرسة التى تعاقد معها فواصل الليل بالنهار رغم أنه مُجهد لا يعرف طعما للنوم من الضوضاء، فالشقة بالدور الأرضى ولابد أن ينفرد بنفسه بعيدا عن الإزعاج.

انتهى أخيرا من التسليم بعد أن تملكه المرض الذى بدأ بأنفلوانزا ثم التهاب باللوز والحنجرة ولم يهتم كثيرا باستعمال المهدئات والمسكنات، وفطومة مشغولة دائما بأعمال المنزل ورعاية وليدها البكر، مرت السنوات الثلاثة الأولى من عمر الزواج والمولود بسلام إلى أن همد الرجل بالمنزل لا يستطيع الحراك ولا الخروج، واتصلت فاطمة بأهله وأهلها والحاج عبد الحليم خالها وسبب تلك الزيجة لتحكى لهم كيف مرض السيد فهمى وحاولت طلب العون والمساعدة فى العودة أو السفر للقاهرة لعلاج زوجها.

واقترح الحاج عبد الحليم الذهاب لمستشفى حميات إمبابة، وبالفعل سافرا فى نفس النهار، واقترح الأطباء استئصال اللوزتين للخروج من الحمى التى تصيبه دائما، لكنهما أوضحا أن هناك خطورة عليه حيث إنه تخطى السن المناسب للعملية، ورفض الجميع بعد مداولات كثيرة وخوف فاطمة المتزايد من فقدان حبيبها والأب لولدها الوحيد بعد أن انتابها شعور بالوحدة والعجز.

وذهبت لمنزل العائلة بمنطقة تحت الربع والغورية ومسجد الست فاطمة النبوية، واختلست ساعات للذهاب للمسجد لتدعو الله وأولياءه الصالحين بتمام الشفاء.

وقبل أن تخرج متعجلة سمعت صوتا ينادى من بعيد:

— تعالى يابنتى أنا عارف مشكلتك ومشكلة جوزك.

والكلام لشيخ طاعن فى العمر وذى لحية كثيفة مرتبة كأسنان المشط فاستراح قلبها لذلك.

— هو انت تعرفنى ياعم الشيخ؟

— متسألیش یابنتی کتیر کله من عند الله، وبصراحة جوزك ملبوس من زمان لما وقع فى الحمام وهو صغير، وطبعا ماكانش يقدر يقول لك الكلام ده.

طب هو دى الوقت بيجى له تشنجات ولا حالات صرع ويغيب عن الوعى؟

فاطمة: ولا أى حاجة م اللى بتقولها ياعم الشيخ.

الشيخ. عموما علاج جوزك عندى بإذن المولى سبحانه وتعالى، ولما تعوزينى هتلاقينى هنا جنب حبيبتى الست فاطمة واللهم ماصلى ع النبى. مدددد. حى.

وعادت فاطمة لمنزل أبيها يتملكها الرعب والتعجب، وعلى الفور حكت ماحدث لأمها بالتفصيل الممل.

الأم: والله يابنتى كل شئ جايز، وياما قصص وحكايات سمعناها عن الأسياد واللى بيعملوه فى البنى آدمين. ربنا

يسترها يابنتى. بس ممكن نعمل له زار عند حسنية الدلالة. أنا عارفاها كويس وهتكرمنا برضة فى الطلبات.

قالت فاطمة: والله ياأمى أنا نفسى اتسدت ومش عارفة أعمل إيه، عموما لما أرجع بيتى هاتكلم معاه واشوف وربنا عالم بالحال. بركاتكم آل البيت. مدد.

وللمت أغراضها وهى وزوجها المكلوم ورحلا لمحطة مصر لركوب القطار إلى بلدتهم الجديدة وفى يدها محمد الصغير بعد أن بدأ أولى خطواته.

وفى القطار بدأت تداعب فهمى وتحكى له قصصا وحكايات عن الأسياد والزار والمس والجان، وقالت:

— تعرف أنا قابلت مين النهاردة فى السيدة فاطمة النبوية؟

قال فهمى: قابلت مين خير حد من قرايبك ولاجيرانك؟

قالت فاطمة: أبدا ده راجل كبير وبركة كدة حكيت له على تعبك قال لى هاتيه ولازم أشوفه وأنا عارف علاجه من زمان بس

هـو مـش عارفـة. إلا صحيـح انـت تعبان مـن زمان ياسـى فهمى؟

— تعب. تعب إيه؟ آه تقصدى اللوز ووداني يعنى؟

قالـت فاطمـة: لأ حاجـة تانيـة؟ وقعـت فـى الحمـام مثـلا ولا اتخضيـت بالليـل فـى أى طريـق مسـكونة وأعـوذ بـالله مـن الشـيطان الرجيـم.

قـال فهمـى: أمـى حكيـت لى وأنـا صغـير وقعـت فـى الحمـام والدنيـا ضلمـة. قعـدت اصـرخ أصـرخ لغايـة ماحسـيت إن حـد بيشـيلنى مـن الأرض وأغمـى علـىَّ، وبعدهـا لقيـت أمـى بتفوقنى ببصلـة وبتكـب ميـة علـى وشـى. «ألـف سـلامة عليـك ياابنـى إن شـالله العدويـن اللـى يكرهـوك حسـبن الله ونعـم الوكيـل فـى اللـى آذاك إنـس ولا جـن».

وسـاعتها حسـيت برعشـة شـديدة فـى مفاصلـى وماقدرتـش أتحـرك زى مـا أكـون اتسـمرت فـى الأرض، وجابـوا لى شـوية عسـل عليـه حبـة بركـة سـودا وشـوية ميـة ونمـت بعـد كـدة مادريتـش إلا الصبـح أبويـا بيصحينـى ويقـول: قـوم ياولـد. الدنيا

ضهر هنتأخر ع الشغل وياريتك كنت كملت فى المدرسة. كان زمانك أفوكاتو قد الدنيا ولا مستوظف.

وأختتم فهمى قولته: بس هىَّ دى الحكاية.

قالت فاطمة: يبقى كلام شيخنا إياه مظبوط. يبقى يوم الجمعة إن شاالله م الفجر نروح له ونسيب الواد عند خالتى أم لطفى هى طيبة قوى وبتحبنى الله يخلى لهما ولادها.

وجاء يوم الجمعة الموعود وأخذت فاطمة زوجها وانطلقت نحو مسجد الست فاطمة النبوية بالقاهرة للقاء الشيخ المبروك للعلاج المناسب.

والتقيا بعد الصلاة حسب الموعد واصطحبهما إلى داره الذى يشبه المغارة كثيرا خلف المسجد. وأجلسه بين يديه، وحسب الطقوس المتبعة قرأ عليه بعض سور القرآن الكريم، ولم تفلح تلك الطريقة فلجأ للأخرى وبات يتمم بكلمات هذيانية غير مفهومة للعامة وارتجف الجميع وارتعشت الأيدى وسمعا الصوت المنتظر: شبيك لبيك. أمرك مطاع يا سيد الجان والصولجان.

قال الشيخ : أخونا فهمى تعبان وعايزين نشوف له حل.

رد الصوت المهيب : انت عارف حكايته من زمان ياسيدنا. تزوجته ابنة لنا من حوريات الجان وهى تحبه ولا تستطيع فراقه إلا بالموت.

قال الشيخ : الكلام ده تقوله لتلامذة اليومين دول. لكن سيدك فاهم وعارف إن فيه طريقة تانية نبعدها عنه.

رد الصوت : أؤمر تطاع يا سيدنا. طلع الجنية منه بسرعة وإلا هاحرقك حالا حالا حالا. وهم بالقيام من تعبه الكبير.

رد الصوت: الأمر مجاب فى الحال.

وأخرج عصا غليظة من مخبئه وأخذ يضرب فهمى حتى كانت صرخاته تسمع فى نهار القاهرة العتيقة، وأخذ يضرب ويتمتم: اخرجى عليكِ السلام والأمر من سيد الجان وجب عليكِ السمع والطاعة.

ولم تحدث أى استجابة حتى ذلك الوقت، واستمر فى الضرب والضرب حتى تورم جسد الرجل وأوشك على الإغماء.

عندهـا صرخـت فاطمـة بأعلـى صـوت. اتركـوه لا أريـد العـلاج، اتركـوه.

وسقطت مغشيا عليها من هول الموقف.

وبعـد أن أفاقـا الاثنـان خرجـا مـن المـكان وقدماهمـا تتخبـط فـى بعضهمـا البعـض حتـى وصـلا لمنـزل العائلـة فـى هـذا الـدرب الأحمـر والأزرق فـى بعـض الأحيـان.

الأم : إيـه يابـت إنـتِ اتجننـتِ ولا إيـه؟ وليـه الخبـط والـرزع ده ع البـاب؟

فاطمـة : اسـكتى ياأمـى مـش قـادرة أتلـم علـى أعصابـى والله (وأجهشـت بالبـكاء). آه يانـى ياأمـى ع اللـى جـرى لى واللـى حصـل لى. ياريتنـى ماسمعـت كلامـه.

الأم : هو مين ده يابت؟

فاطمة: الشيخ.. الشيخ ياأمى إياه اللى قابلنى فى الست فاطمة هو أنا مش حكيت لك قبل كده لما كنا هنا السبوع اللى فات. يوه ياأمى سيبينى!

وفى الصباح الباكر وقبل شروق الشمس استقلا القطار للعودة لمنزلهما.

الفصل الثانى

استقبلهما الابن محمد وفرح فرحا شديدا بعودتهما، فكان عامه الثالث والتدريب على المشى بمفرده تماما. وأخذته فى حضنها الدافئ وكذلك الأب الحنون وهو يبكى وهى تصرخ فيه: لماذا البكاء الآن؟ لمدة دقائق وبعدها اكتشف الجميع أنه فقد السمع نهائيا بعد جلسة الشيخ المشئومة.

وذهبا للأطباء فى بلدتهما ثم معهد السمع بإمبابة ولا جدوى، وفى إحدى المرات كان يزور المعهد طبيب بارع من بريطانيا وشاهد حالته، وكان مصرا على إجراء تلك العملية الجراحية الحساسة جدا فى أذن الرجل.

ومع تكرار المحاولات تمكن الاكتئاب منه، وهرب يومها من المستشفى وعاد إلى ورشته وابنه وزوجته وقال: يكفيني أنني معكم والله يملك المعجزات الكبيرة. سأنتظر فرج الله.

واستمر في حياته حتى رزق بزينب وسعدية، وحمد الله وأكمل مشواره حتى كبر محمد ثم رزقه الله بحسن وسعد ونجيبة وأتما نصف الدستة من الأولاد.

وهنا اكتملت ترتيبات الحياة بين مدارس الأولاد ومساعدة فاطمة بأعمال الخياطة المنزلية وواجهها صعوبات كثيرة لا تعد ولا تحصى ومحاولات طلاق عديدة لم تفلح أبدا. بسبب عدد الأولاد وانشغال بيت العائلة في القاهرة بأخويها الرجال وزوجاتهما وأولادهما وكلما ذهبت أعادوها مرة أخرى. فلم تجد من يساندها في تلك المحنة بعد أن تحول فهمي إلى رجل معقد شرير يخاف منه الصغار والكبار واعتزله الجميع والكل يعايره بصمم أذنيه مما زاد الأمر تعقيدا.

وظهر حبه للابن حسن مبكرا حيث كان يصطحبه دائما إلى كتاب الحى لحفظ القرآن وتعلم القراءة والكتابة. وكان الشبل نابها واعدا بمستقبل زاهر فى بحر العلوم والقراءة والثقافة.

إلى وصل حسن لسن العاشرة وهو قارئ جيد للصحف مشارك والده الذى لم يكمل تعليمه وقد وجد فى القراءة عوضا عن فقد حاسة السمع لديه.

ودأب الوالد على تدريب حسن على أعمال الحرف اليدوية من نجارة ودهان وخلافه، وترميم التحف والأنتيكات وبعض أنواع الأثاث القديم الفاخر، إيمانا منه بأهمية أن يتعلم أى صنعة بجانب دراسته فى المدرسة أو الجامعة، لعلمه الشديد بصعوبة الحصول على الوظائف الحكومية أو الكبرى بسهولة، ولكى لا يكون تحت رحمة أحد، وأن يأكل من عمل يده إلى أن يأتى الله أمرا كان مفعولا.

ودخل حسن فى صراع الحياة من أوسع أبوابها. إذ كان يتحتم عليه الدراسة والتفوق مع متابعة أعمال الورشة

والتوفيق باستمرار بين العمال ووالده الذى بدا منهكا ومكسورا من نوائب الدهر. تفوق فى الشهادة الإبتدائية وتأهل لدخول المدرسة القبطية للمتفوقين، كما كانت فرصة ثمينة للحصول على إجازة يومين لمتابعة العمل الآخر، امتدت الأيام وكان يتمنى دائما الانتهاء من دراسته، وبعد حصوله على الشهادة الإعدادية بنفس التفوق استمر فى المدرسة ذاتها إذ كانت محببة لقلبه، فقد كان مفوها فصيحا اشتغل بجماعة الصحافة والإذاعة المدرسية وأحبه الجميع من مدرسين وزملاء، فقط كان يجمع بين صفة الحرفى والصانع الماهر والأديب ذى الفصاحة والبيان، ومرت السنوات الأخيرة من دراسته الثانوية بسرعة شديدة ووجد نفسه أمام مرحلة جديدة من حياته, وكان السؤال الذى يشغل باله دائما: كيف يوفق بين دراسته الجامعية وحياة القاهرة الجميلة الفسيحة بحضارتها ونورها الذى لا ينطفئ أبدا خلاف مدينته؟

التحق بإحدى كليات جامعة القاهرة ولم يتسن له الحصول على الإقامة بالمدينة الجامعية. فلجأ لصديق طفولته ودراسته

ورحلة تعلم شرب السجائر ومشاغبة الأهل، إذ كان صديقه له أب غنى وتاجر يعمل بأمور عديدة وكانت الأموال تنهال عليه من كل صوب. إذ كانت له زوجتان والكل ينافس الكل فى إرضاء الصغار. حتى وافق أن يجلس معه فى غرفة ضيقة بشارع قصر العينى ذات سرير واحد ضيق بمشاركة قدرها عشرين جنيها شهريا.

وحمد الله وأثنى عليه لفضله لاستقراره ليتفرغ لدراسته الجامعية لأن صديقه لم يحصل على التفوق وذهب لأحد المعاهد المتوسطة ذات السنتين ويدرس دراسة فنية متقدمة. وزادت الأحقاد من صديقه للفرق الواضح بين جامعة القاهرة وأحد المعاهد المغمورة بالمصروفات. واستمر فى مضايقته فقد كان صديقه سيئ الخلق وحاول التحرش به أثناء نومه لولا انتباه حسن، وغادر الغرفة على الفور وذهب لمنزل جده، ولم يستطع الإقامة ثم ذهب لمنزل خاله الحنون فى ضاحية مصر الجديدة. بدأت تسوء الأمور. فقد قرر خاله الزواج مرة أخرى من إحدى العاملات لديه لمساعدته أهل منزله

القديم فى أعمال المنزل ولأمور أخرى تخص الكبار, وهذه الزوجة الجديدة كانت أمية لا تقرأ ولا تكتب، بادرها حسن بالمساعدة ليعلمها القراءة والكتابة ثم وقعت فى حبه وهو فى السادسة عشر. مرحلة المراهقة والشباب وضغط عليه الشيطان بادلاها حبا وهو لا يعلم كم هى كانت غريبة الأطوار بنت أحد أحياء القاهرة الشعبية المشهورة بالتفسخ والانحلال، وتكشف أمرهما معا، وكرهه الكل الكبير والصغير، وأولاد خاله بسبب تعثرهم فى دراستهم، أجمع الكل على مغادرته المنزل. ثم ذهب لمنزل خالته القريبة، وبكى بين يديها رغبة منه فى الإفصاح بحبه وأنه مظلوم، فقط أوقعته فى شركها هذه اللعينة، فاستدعاه الخال الأكبر ونهره بشدة وأصر على مغادرته دون أن يحل له المشكلة. دون أن تعلم أمه وأبوه طبيعة المسألة.

حسم حسن أمره وقام بتجهيز حاجياته ورحل لا يعلم إلى أين.

خلف الجامعة حى فقير. ذهب ليبحث عن مكان ليسكن فيه ولا يملك سوى بعض جنيهات لا تتعدى العشرة، ورزقه

الله بسيدة طاعنة فى السن تؤجر الغرف للطلبة والموظفين المغتربين، ووافقت بعد أن حصلت منه على المبلغ المتوفر على أن يكمل الباقى تباعا، أو أن يعمل لدى ابنها فى محله بميدان الجيزة لبيع المواد الغذائية فوافق على الفور وحمد الله وأثنى عليه.

واستمرت سنواته الأولى فى الجامعة على هذا النحو الرتيب، وفجأة وعلى غير موعد فتح شباك حجرته المطل على شارعه الضيق فوجد بنتا ضعيفة الجمال والقوام تقوم بنشر الغسيل أمامه مباشرة بملابسها الشفافة والتى لن تزيدها جمالا يوما ما.

لم يفرح ويتحرك هاتف قلبه.

فاجأته المسكينة بتلويح يديها محملة بقطعة خفيفة من ملابسها. وبصوت هامس: مساء الخير، أنا بلانش، ده اسم الدلع، باشوفك كل يوم داخل طالع فى حالك، انت إيه حكايتك؟ وعلى فكرة أنا كتير باشوفك فى الجامعة عند باب تجارة كده، اصلى ده طريقى كل يوم لكلية الحقوق.

مالك خايف كدة؟ عادى عادى أمى نايمة، وأنا وحدى وزهقت من المذاكرة، قلت أطلع غلبى فى الغسيل.

هز رأسه بعد طربه لخفة دمها وجرأتها.

وقال فى نفسه: لو الكلام ده فى بلدنا كان زمانهم قتلوها هههههههههه.

رأت ضحكته فتهللت، دون أن تدرى ما سر ذلك.

كتب ورقة مسرعا وألقاها فى بلكونتها وتلقفتها باحتراف شديد.

تقابلا صباح اليوم التالى أمام باب الجامعة.

أنا حسن وانتِ بلانش. بس إيه الاسم دة وإيه حكايته؟

قالت: بلانش يعنى أبيض بالفرنسية، وبعد أن غضبت أمى بعد مولدى من سمرة وجهى أطلقت هذا الاسم لعلى أكون بيضاء مع الأيام، واسمى الحقيقى منى صليب. لم يهتم باسمها الحقيقى وقال خلينا فى البلانش يا سمارة.

قالت: كنت خايفة قوى أقول لك إنى مسيحية. لكن واضح إنك مثقف وواعى وأحب نكون أصحاب. أما حبايب دى فتتوقف عليك انت ياأبوعلى، كنت باسمع الحاجة بتناديك دايما كدة. وماخبيش عليك ياما اتمنيت برضة أقول لك وأدلعك. إيش قولك بقى؟ اصل أنا صعيدية برضه من سوهاج.

لم ينطق حرفا إلا ابتسامته الصافية التى طمأنت قلبها.

— بصى أنا عندى محاضرات وفى آخر اليوم نتقابل نروح سوا. بس مش هادخل معاكِ الشارع، انتوا صعايدة بقى. سلام. .. سلام

وتواعدا وتقابلا وشرح لها ومدت له أجنحتها إيذانا بحب وافر وسخى وكريم, كانت دائما تجهز له بعض المأكولات لينتفع بها لأنه لا يطبخ فى غرفته ولا يعود لمدينته إلا قليلا جدا، مشغول دائما بعمله المسائى ليكمل نفقاته الدراسية ويسهر للمذاكرة ويذهب للجامعة فى الصباح, واتفقا على ألا يتفقا فى مسألة الزواج. فقط هو الحب والغرام. دائما

يحدث نفسه: ما مصير تلك العلاقة؟ ويرد عليه شيطانه: (يا باسط) قضى وقتك وخلص دراستك وارجع بلدك ولن تراها مرة أخرى. هى مسيحية وأنت مسلم فلا تتعب نفسك بهذة المأساة.

وصارحها بحقيقة مشاعره، وكيف ينوى الرحيل ويتركها، وكان ردها قاطعا حاسما: أعلم أن هذا مستحيل لكن هذا قدرنا وأنا أتقبله، فقط أطلب منك ألا تتخلى عنى فى أى موقف أحتاج إليك فيه.

ووعدها بذلك بصدق وإخلاص.

وفى هذا التوقيت، وقبل بداية السنة النهائية جلست بجانبه إحدى ملائكة الكلية فهو يعرفها منذ بداية السنة الأولى، جميلة مؤدبة راقية، لا تتحدث مع أحد أبدا، نادرا ما تجدها مع زميلة، لا تشترك فى الأنشطة أو الرحلات أو الاجتماعيات.

نظر إليها ونظرت إليه نظرات لخصت آهات السنوات والفقر والحاجة لمستقبل أفضل لبناء حياة جديدة بشكل

أفضل، وقر فى نفسه عند تخرجه أنه سيذهب إليها ليخطبها ويتزوجا، ومرت أيام أخرى أثقل من التى مرت به فى رحلته نحو العلم وحلم الثراء والأستاذية وعمادة الكلية بل ورئاسة الجامعة، كان حلمه أخضر دائما.

حصل أخيرا على درجة البكالوريوس فى الاقتصاد والعلوم السياسية، لكنه لم يرض عن تلك النتيجة، فتقدير مقبول لن يرضى طموحاته العلمية وأحلامه الوردية، غضب قليلا ثم عاد وقرر أن يستأنف دراسته مرة أخرى عند تحسن أحواله وأموره المعيشية والعمل السفر، وما إلى ذلك.

فى يوم النتيجة بحث عن مليكته التى حلم بها فى المدرج قبل عام، ودون أن تدرى خرج وراءها مسرعا ليتحدث معها ويفاتحها فى أمره عن المستقبل والزواج، لكنه لم يستطع أيضا فى تلك المرة، إذ كانت مسرعة جدا.

سار خلفها حتى وصلت لمنزلها واستخرج ورقة من جيبه ليكتب العنوان. فقد تمضى الأيام ويعود مرة أخرى محملا بالهدايا والورود وكثير من الوعود.

عـاد مسـرعا لبلدتـه ليـزف لأهلـه الخـبر الميمـون. ولم يشـعر بفرحتهـم علـى غـير المتوقـع ، إذ بـدأت الخلافـات تـدب بسـبب أعمـال الورشـة ، ومـن سـيقوم فـى حـال لا سمـح الله توفـى والـده فـى أى وقـت، لأن الأم تعبـت مـن كفـاح مريـر لتصـل الأسـرة لتلـك المرحلـة ولم يتبـق سـوى الأخـت الصغـرى فـى مراحلهـا النهائيـة للتعليـم المتوسـط.

اقـترح علـى والـده تطويـر العمـل ليلحقـوا بركـب الصناعـة والتطـور الحـادث مـن طفـرة هائلـة فـى مسـتويات الدخـول فـى محافظتهـم الصغـيرة، الـكل سـافر للخـارج وأصبحـت قوتـه الشـرائية أكـبر ويتطلـع لأذواق مختلفـة غـير التـى يقدمهـا الوالـد فـى ورشـته البسـيطة. وأصيـب بخيبـة أمـل علـى الفـور لأنـه لا يحـب التغيـير والتطويـر وستسـير الورشـة تعمـل كمـا كانـت تعمـل بنفـس الأذواق والإمكانيـات، ولا جـدوى مـن التطويـر حسـب زعـم والـده فـى تلـك الأثنـاء لاسـيما بعـض الرتـوش الفنيـة التـى لا تـكاد تنافـس علـى أى شـئ.

كان حسن يحلم بدخل أكبر من الورشة ويتطلع لمعدات جديدة تخدم العمل وتكون بمثابة انطلاقة لتحويل المكان لمصنع كبير للأثاث والديكور، بل كان يحلم أن يكون من كبار موردى الحكومة والقطاع العام والفنادق والقرى السياحية فى أطراف مصر والشواطئ المترامية تشجيعا للسياحة، كما كانت تنشد الدولة فى بداية حكم مبارك. كان أبوه يخشى دائما من الالتزامات الحكومية من ضرائب وتأمينات وجباية تحت مسميات مختلفة رغم انعقاد المؤتمر الاقتصادى الأول زاعمين تشجيع الاستثمار وصغار المنتجين.

كان يريد تطبيق نظرياته التى تعلمها فى الجامعة على إدارة الإنتاج والعمل.

لكن هيهات. ما أن يفيق من صدمة حتى يجد الأخرى تقرع بابه من جديد.

انغلق على نفسه وأغلق باب غرفته أياما وشهورا لا يعمل. لا ينتج، فقط يخلد للنوم فى كل الأوقات، لاحظت

أمه رغم أميتها دخول حسن فى مرحلة اكتئاب مبكرة فأقنعته بالذهاب للطبيب النفسى المشهور. وبالفعل ذهب ولم يجد من الطبيب أيا من أنواع العلاج النفسى والتحليل والدراسة للتعرف على أسباب المشكلة، فقط كتب له روشتة مصغرة من حبوب ومضادات الاكتئاب، لم يسترح حسن لتلك الأدوية فكانت صعبة المذاق وتذهب به إلى حالة غير اعتيادية من عدم التركيز واللاوعى. فلفظها وألقى بها من شرفة المنزل.

استمرت تلك الحالة من القلق التوتر لديه فلجأ لأحد أصدقائه. الذى قد سافر للخارج بعدما تزوجت أخته من خليجى وكانا يقيمان فى السعودية وتعذر عليه تلبية طلبه فى الحصول على عقد عمل واقترح علية الحضور بتأشيرة زيارة للعمرة وأن يتشاركا معا فى مشروع صغير للدعاية والإعلان.

ولأنه متعطش دائما للعمل بذل مجهودا رائعا فى بدايته، بل فتح أسواقا جديدة لم تكن متوقعة حيث كانت المنافسة شديدة من الهنود والباكستان فى تلك المدينة الساحلية التى

تزخر بالبشر من كل صوب ولون لقربها من مكة المكرمة.

اهتم كثيرا برؤيته فى التفوق والحفاظ على صداقته المتينة بزوجة صديقه التى طالما اعتبرها دائما أختا له.

تحول المنزل لورشة كبيرة ومكتب وسكن فى ذات الوقت، وعلى مدار اليوم يعمل ويعيش طقوسه ويشاهد التلفاز مع الأسرة الجديدة التى لم يحن الوقت لتضيف أفرادا آخرين إليها بسبب متاعب الحمل والولادة وتأجيل ذلك لتكوين مستقبل للقادم وشراء منزل بالقاهرة وسيارة وغيرها من أحلام صديقه التى لا تنتهى، وقد كان محقا فى ذلك. أعطاه الله فرصة عمل لا يتمناها أبدا وزوجة شابة جميلة كان يحبها ومقيم فى دولة لن تقول لأى أحد ارحل أبدا. ولا تعانى من فقر وبطالة ومشاكل اقتصادية بعد أن حباها الله بخدمة المشاعر المقدسة وإيرادات البترول.

استمرا شهورا على هذا النحو. وبدأت زوجة صديقه تشكو لحسن من قسوة زوجها وإهماله المتعمد. لكنه لم يستغل الفرصة. بل كان دائما يحاول الصلح بينهما لعدم

تهديد مصدر رزقهم جميعا ولأنه مخالف لقوانين الإقامة بالمملكة. لم يكن يحب أبدا تلك المشكلات فقد تتطور ويفقد عمله وصديق طفولته.

نجح المشروع بفضل جهود الجميع وتفرغ صاحبنا لعقد صفقات مع شركات كبرى، وكان دائما فى مقابلات ومواعيد تخص العمل وتعاقدا على أعمال كبيرة تفوق قدرتهما الإنتاجية.

واختلق صديقه أحداثا باهتة وقرر أن يتخلص منه بحجة أن زوجته لا ترضى بوجوده الآن كذبا وافتراء. توسط أحد الأصدقاء هناك بينهما. توسلت زوجته بألا يبعد عنهما ولا عن المشروع، كما ألمحت أنها تحب وجوده كثيرا ولا تستطيع البوح بذلك لزوجها.

والمطلوب من هذا المسكين أن يتحمل كل الضغوط ليبقى قريبا من الأحداث.

فشلت المحاولات وقرر الصديقان الفرقة والخصام وتركهم بالفعل بعد أن تنازل عن حقوق كثيرة كانت له. هو لا

يحب المشكلات كما ذكرنا من قبل.

واستقر به المقام لدى أحد الأصدقاء الجدد، يعمل بنفس المجال لحسابه الخاص بعيدا عن شركته، و مكث معه فترة ليست بالقصيرة. ثم شاءت الظروف أن يتعرف على أحد أصحاب الأعمال من أصول مصرية. علم منه أنه جامعى ويجيد الإدارة والرقابة والمتابعة للمشروعات. سأل عنه بمصر واستعلم عنه جيدا ثم قرر إسناد مهمة نائب المدير لحسن، ولم يكن هذا القرار مرضيا أبدا للمدير الحالى وامتعض كثيرا لتشويه صورته أمام رب العمل ولم يأبه شيخهم لتأوهات مديره.

استمر فى العمل طيلة عشرة أشهر قلب الشركة رأسا على عقب بحثا عن اختلاسات أو أى نوع من الفساد، وبالفعل تمكن من مراجعة بعض المشروعات ووجد بها تجاوزات كثيرة ونهبا لأموال الشركة والرجل الذى وضع ثقته فى ذلك المدير.

بدأ يكشف حسن الأحداث واحدة تلو الأخرى لصاحب الشركة مع التأكيد ألا يكشف عن هويته فى مجرى الأحداث، وفعل الرجل.

بـدأت الحـرب بـين المديـر ونائبـه إلى أن وصلـت ذروتهـا، وأحضـر هـذا الفاسـد الخائـن موظفـة لبنانيـة فـى منتهـى الجمال والرشـاقة واللباقـة لتعمـل سـكرتيرة للشـيخ وتكـون حائـط صـد منيـع مـن تدخـل حسـن فـى كل الأمـور. وأفلحـت وأفلـح مديرها فـى شـق الصـف وزعزعـة ثقـة الرجـل بنائـب المديـر.

إلى أن أقنعوه بأن حسـن به مس من الجن أو مسـحور، وصدق الرجـل لأن حسـن كان دائمـا مكتئبـا حزينـا، وأحضروا له شـيخا مغربيـا يفهـم تلـك المسـألة جيـدا وكان صديقـا لصاحب الشـركة.

وأكـد المغربـى أقـوال المديـر وسـكرتيرته الحسـناء بـأن حسـن بـه مـس مـن الجـن ومسـحور أيضـا، ولا يصلـح للعمـل ولا توثـق أقوالـه وأعمالـه ولا يعتـد بهـا.

وللتمسـك الشـديد من أطراف معينة داخل الشركة وعلى رأسهم صاحبهـا قـرر المغربـى محاولـة عـلاج المذكـور بطريقتـه الخاصـة.

فـى غمـرة تلـك الأحـداث تأثـر نائـب المديـر حسـن واهتـزت ثقتـه بنفسـه وبجـدوى وجـوده بالعمـل بعـد أن أمضـى عامـا

ونصف، وغضب من الجميع وذهب ليشكو لأحد القضاة بالمحكمة الشرعية بشكل ودى قبل أن يعود لبلده.

استدرجه القاضى حتى سمع منه كثيرا، ثم قرر أن يحتفظ به لنفسه فى مكتب الوقف الذى يمتلكه لمتابعة أعمال التحصيل وخدمة المستأجرين والرقابة على باقى الموظفين. إذ تأكد من نزاهة حسن وإخلاصه.

قابل هناك، فى ذلك المكان، أمراء ووزراء سابقين وأشرافا من علية القوم من جميع بلاد المسلمين، فقد كان مكتب الرجل قبلة للجميع من هؤلاء لطيب أصله وأخلاقه، محبوبا ناشطا اجتماعيا، محبا للحياة والخير.

مرض القاضى مرضا شديدا بعد أن وعد حسن بحل مشكلة السحر أو المس كما يزعمون. سافر للخارج للعلاج إلى أن توفاه الله.

حزن كثيرا عليه ثم سلم أمره لله، وسلم جميع أعماله لأحد أولاد القاضى حسب رغبتهم لأنه غير مقيم رسميا على وعد باستقدامه مرة أخرى بشكل قانونى.

على حين غفلة سمع رنة هاتفه بصوت أخيه الأصغر الذى ساعده للسفر لدولة أوربية. وحكى له بسرعة شديدة ومرارة ماحدث معه وسأله: هل المكان لديه يستوعب رحيله لهناك؟

فأجاب أخوه أيضا بسرعة ودون تفكير وعلى استحياء: أهلا وسهلا فلتأت بسرعة.

حصل على التأشيرة لدولة قريبة لمحاولة دخوله عبر الحدود لصعوبة التنقل للعرب والمصريين والأفارقة.

وصل مطار استنابول واستقل سيارة للذهاب لأى فندق حتى يرسل له أخوه من سيصطحبه عبر الحدود لألمانيا وأقام أسبوعا كاملا فى انتظار الرجل ولم يأت، عاد للقاهرة دون أن يبلغ أيا من أهله، ونام ليلة بأحد فنادق التحرير المتوسطة حتى يتصل بصديق ليحصل على التأشيرة المطلوبة وبالفعل تم المراد، وعاد للمطار ودخل ألمانيا بعد توحيد شطريها. واتفقا هو وأخوه على أمل جديد بالتفوق، وهذا أفضل من عودتهما جميعا لمصر بخفى حنين.

كان أخوه سعد يسكن مع حمادة المصرى المتزوج من ماريكا الألمانية الطيبة الجميلة وكانت فى الأربعين من عمرها، ولحسن حظ حسن كان اليوم موافقا لعيد ميلاد زوجة حمادة واحتفلا معا وقدم لها هدية متواضعة وأمطرت خديه بوابل من القبلات تعبيرا عن شكرها وامتنانها على هديته.

عندما كان حسن مقيما فى بلاد المشاعر المقدسة كان يطلق لحيته دائما إذ أعجبته هيئته كذلك، دون النظر لكونها سنة أو فرضا على رجال المسلمين، ولم يهتم بالأمر كثيرا ولم يناقشه، وكلما سأله أحد عن ذلك قال : إنى لم أخلص النية الآن لتكون فرضا من فرائض المسلمين.

وكانت أولى نصائح حمادة المصرى وكانت شرطا فى نفس الوقت أن يقوم حسن بحلاقة لحيته خوفا من مشكلات العرب فى بلاد الغرب والإسلامو فوبيا التى انتشرت فى الآونة الأخيرة بعد ظهور القاعدة وأسامة بن لادن والحرب فى أفغانستان.

وبمجرد أن شكا أحمد من تقبيل زوجة حمادة له لأخيه صارحه بحقيقة أنهم يعيشون الحياة ببساطة، وعلى اعتبار أنك أخ وصديق لها وأكمل جملته بأن حمادة يريد أن تحلق لحيتك.

غضب حسن لهذا الأمر ورغم أنه كان ينتوى فعل ذلك إلا أنه كان يريد أن يكون القرار من داخله هو ولا أحد يشترط عليه ذلك.

كان سعد خجولا كثيرا على حساب نفسه، وقد فعل أيضا على حساب أخيه حسن بمجاملته لحمادة وزوجته.

ذهبا مساء اليوم التالى لتجمع المصريين والعرب فى محاولة للبحث عن أى عمل لحسن. ووجدا بالفعل عملا فى مشتل للزهور بالقرب من العاصمة.

الشتاء قارس لمن لم يتعود بعد على هذه الأجواء القاسية.

انتظم فى العمل رغم إرهاقه الشديد وضعف بنيته ولكنه استمر، واقترح عليه الجميع شرب البيرة والكحوليات لتكون فواتح شهية ليستطيع أن يتحمل أعباء العمل، ولكنه رفض وبشدة إلى أن حضر الجميع حفلا كبيرا للمغتربين وبعض

الألمان فى منزل صديق لماريكا، البنات كثيرة وجميلة والشباب أجمل والمأكولات والحلوى بكثرة وأيضا المشروبات بكل أنواعها.

كاد حسن أن يذوب فى طبقات وإغراءات الحفل وهم بشرب البيرة لكنه تذكر أنه رفض قبل ذلك وقد يغضب ذلك أخاه وأصدقاءه فى السكن.

فاكتفى بصحبة زيشولا الرائعة وخرجا فى حديقة المنزل. كانت تجيد الإنجليزية وتحدثا قليلا فى الحب والزواج ومشاكل العرب والغرب والهوة السحيقة بينهما.

وكانت عاقلة وحكيمة لم تتطرق بعد لمشاكل الأديان والمعتقدات.

لفتت نظره كثيرا تلك المسألة فى كون زيشولا لم تتحدث مباشرة عن تلك المشاكل المعقدة فى بداية صداقتهما المنتظرة، فقد أوشكت أن تتعلق به وبوسامته وجرأته فى الاحتفاظ بلحيته وعدم شربه للكحوليات وانسياقه لما قد ينجرف له الكثير من شباب العرب.

خرجا معا ذات مرة وشعر بحنو قلبها وعطفها عليه ورأفتها بأحواه فى الغربة بعيدا عن أهله، وسألته: هل أحب من قبل أن يحضر لبلادهم؟

فرد على الفور : بالتأكيد أى شخص بمجرد بلوغه سن المراهقة والشباب لابد وأن تكون له اهتماماته نحو الجنس الآخر، أحببت بنتا فى الجامعة ولم أستطع التقرب إليها طبقا لعاداتنا الإسلامية إلا بعد الشروع فى الزواج والخطبة، لكن فكرة الجريل فرند غير متاحة فى بعض العائلات الأصولية المتوسطة، وكان لزاما علىَّ أن أحتفظ بقلبى بكرا حتى يحين الوقت المناسب، وبالفعل لو فكرت سأفكر فى الزواج لأنى لا أستطيع أن أغضب ربى بإقامة علاقات شاذة خارج إطار الشرع، أو القانون فى بعض المجتمعات.

هزت زيشولا رأسها قانعة ولو بنذر يسير.

وقالت: لكنى لا أستطيع الزواج إلا بعد التأكد من محبتك وقدرتك على ممارسة الجنس وباقى مسئوليات الأسرة.

وتأسفت كثيرا لحسن.

وفى قرارة نفسه فرح كثيرا بهذا القرار إذ يحتاج من الوقت الكثير لكى يقرر الزواج والإقامة فى ألمانيا على خلاف أخيه، فقد اختمر عجينه فى تلك البلاد وأصبح سعيدا ومبهورا لتلك الحالة.

نشأت خلافات كثيرة بين حسن وأخيه وصاحبه حمادة وزوجته ماريكا بسبب أنه لا يتقبل تلك الحياة. فله طقوسه ونواميسه الخاصة.

هو يريد العيش بمفرده، هل هو مرض نفسى أو اكتئاب لا يدرى ولا أحد يجيبه. كان دائما يفضل المكوث لساعات طويلة وحده، والجميع يرقصون ويأكلون ويشربون. إنه حقا شخص غريب، هكذا دائما كان يسأل نفسه.

فى اليوم التالى قرر ترك العمل القريب من منزل أخيه والسفر لإحدى الجزر البعيدة. لعيش حسب رغبته ولكى لا

يكـون مصـدرا لإزعـاج أى أحـد. ودع الجميـع وذهـب للإقامـة فـى بنسـيون بصحبـة شـاب بليجيكـى، كان جميـلا لدرجـة الفتنـة واكتشـف فـى تلـك الليلـة أنـة شـاذ إذ طلـب مـن حسـن أن يأتيـه فـى مـكان خلفـى.

فـزع حسـن كعادتـه مـن تلـك المسـألة وتـرك المـكان، ورحـل يبحـث عـن بديـل يقضـى فيـه ليلتـه، قابـل شـخصا تركيـا يعمـل هنـاك منـذ سـنوات، اسـتضافه فـى منزلـه بعـد أن سـحب منـه كل أوراقـه الثبوتيـة وتأكـد حسـن أن الرجـل ليـس لـه أغـراض خبيثـة أو شـاذة.

سـاعده فـى الحصـول علـى عمـل فـى اليـوم التـالى مباشـرة، وبـدأ كعامـل فـى بدايـة الأمـر ثـم تـدرج فـى الوظائـف حتـى ثبتـت كفاءتـه لـلإدارة وأصحـاب المصنـع وتم ترقيتـه لمشـرف عـام المـكان.

وبعـد أيـام فاتـح حسـن صاحـب العمـل فـى أن يبـدأ فـى تجهيـز أوراق إقامتـه للاسـتقرار والـزواج. وبالفعـل بشـره الرجـل أن محامـى الشـركة يعمـل الآن علـى ذلـك.

وفى تلك الليلة السعيدة للجميع خرجا ليتنزها فى منطقة تعج بالسائحين بعد يومين من غزو العراق للكويت. وبرغم أن أعداد العرب فى تلك المنطقة لم تكن كثيرة إلا أنه تم ترحيل الجميع من تلك البلدة إلى بلادهم الأصلية تحت مسمى الحرب على الإرهاب. ولم يشفع لحسن كفاءته ولا تقدمه فى العمل ولا بداية إجراءات الإقامة الرسمية، وبعد أن وعد الجميع حتى فى حالة رحيله سيتم استئناف الموضوع.

هكذا كانت أحوال حسن المصرى، كلما صعد نجمه فى السماء هبط ثانية للأرض. حزن كثيرا وعاد يفكر، هل به مس من الجن بالفعل هل هو محسود؟ هل هو منبوذ؟ كل تلك الأسئلة كانت تراوده وهو على ظهر السفينة برنسيسة قبرص عائدا إلى بورسعيد.

ومما خفف من أحماله وقتها التعرف على صديقة أمريكية وعدته هى الأخرى أن تراسله وترسل فى طلبه للولايات.

وصل لمدينة بورسعيد بعد رحلة فى عرض المتوسط لمدة ثلاثة أيام مرورا بقبرص وإيلات التى رفض أن ينزل بها ولو لساعات قليلة فلن ينسى أبدا أنه عربى يوما من الأيام.

عاد لأسرته بحقيبة ملابسه القديمة ولا يملك إلا بعض الدولارات.

كان يوما مخزيا للجميع بعد تلك الغربة التى امتدت لثلاث سنوات وأكثرهم حسن.

تركوه وحيدا، لم يحضر هدايا لأحد بعد كل الأحلام التى وعد بها الجميع. استمرت حالته النفسية فى السوء حتى دخل عليه أبوه ذات ليلة يربت على كتفه ويقول له: كل شئ بإذن الله وأرى أنك لم تنجح كما سمعنا منك. ودائما ضع الله نصب عينيك ولعله درس لتعود لتمسك الورشة وتعيد مشروعاتك القديمة.

علم أحد أصدقائه القدامى بعودته فذهب إليه مسرعا:

— طبعا إنت قافل على نفسك الدنيا كلها. أنا عرفت إن القوى العاملة طالبة ناس عشان تعينهم فى الحكومة والحمد لله إنك رجعت.

رد حسن بانكسار: خلاص نروح سوا ونقدم يمكن تفرج. لكنى سأقدم فى مكتب القاهرة لا أستطيع العيش هنا لأرى نظرات التشفى فى عيون الجميع. إنهم يرونى فاشلا دائما. أنتظرك غدا إذا كنت تريد الذهاب معى.

رد صاحبه: لو أبويا وأمى سمعوا إنى هاتشتغل فى مصر هيحرمونى من كل حاجة وأنا عايش هنا مبسوط حتى لو عاطل. روح إنت يا عم الناصح وهنشوف. وعموما أنا زى ما انت عارف أتمنى لك التوفيق وإن ربنا يعوض عليك الكام سنة اللى إنت غبتهم عنا. سلام سلام .

استيقظ حسن فجرا على غير عادته وصلى لله ثم التقط ملابسه بسرعة قبل أن يصحو أحد من المنزل ويسأله إلى أين أنت ذاهب؟

استقل السيارة الأجرة وطوال الطريق يفكر هل سيجد فرصة بالحكومة بالفعل؟ وعندما أتعبه وأنهكه التفكير قال فى نفس: زى ماتيجى واللى يحصل يحصل هتخرب أكتر من كده؟! أنا واحد من ملايين فشلت وبتحاول تنجح وخصوصا فى بلد زى مصر اللى مصدعينا دايما بالأغانى وأم الدنيا وخالتها.

انتبه من استغراقه على صوت السائق:

الأجرة ياحضرات عشرة جنية عشان البنزين غلى.

وصل حسن لمقر القوى العاملة بمدينة نصر بأعجوبة وسط الكم الهائل من السيارات وإشارات المرور التى لا تنتهى وغلق بعض المسارات والشوارع لحضور الرئيس إحدى جلسات مجلس الشعب.

استقبله الموظف بحفاوة لم يصدقها وصار منبهرا بها.

— والله يا حسن انت ابن حلال عندى مكان ليك حكاية بس هناخد الحلاوة طبعا.

قال حسن: وأنا من عينىَّ يأستاذ بس فين هىَّ؟

— آدى العنوان وهتروح للأستاذ سامح المدير وتقول له إن أنا رشحتك للوظيفة وعلى فكرة المكان دة فلوسه كتيرة وهتنبسط وتدعى لى وشقق وأراضى وحكاية زى بنك التعمير بالظبط.

وودعه حسن بعد أن أعطاه هدية بسيطة مؤقتا للدخان والشاى وقلبه يتمزق من ضيق حاله وقلة أمواله الآن.

ذهب فورا لجهة العمل المرشح لها واستقبله السيد سامح وهو فى الخمسينيات من عمره ويعمل مديرا ماليا وإداريا وأخذ منه السيرة الذاتية وتناقش معه فى بعض الموضوعات والخبرات السابقة.

انشرح صدر المدير لذكاء حسن وفطنته واستعداده للتطوير والنجاح واتفقا على أن يتسلم العمل فور صدور قرار التعيين.

عاد حسن لبيته بعد نهار شاق جدا وسأله الجميع: أين كنت ؟

لم يعطيهم ردا شافيا حتى يتحقق المراد وصدور قرار التعيين:

- كنت عند واحد صاحبى كان عازمنى على فرح أخته وماكنتش أقدر أتأخر لأنه طلب منى مساعدته فى اليوم ده من الصباح الباكر.

انكفأ حسن على القراءة كعادته لمدة أسبوع لا يفتح بابه إلا للضروريات، لا يتحدث، لا يضحك لا يفعل أى شئ سوى الانتظار.

وفى صباح اليوم التالى سمع صوت صاحب البريد : الأستاذ حسن ألف مبروك جواب تعيين وفى القاهرة ! طب فين الحلاوة يا عم ؟ أستاذ حسن. أستاذ حسن.

مناديا من ساحة المنزل.

حسن مرتديا ثوبه الأنيق حاملا حقيبته الممتلئة من كل نوع. ملابس مأكولات. مكواة. راديو صغير وبعض الكتب.

استأذن خاله فى الإقامة عنده حتى يجد غرفة مناسبة أو أى سكن. فقد كانت مشكلته دائما على مدار حياته الممتدة هى السكن.

وتسلم عمله فى اليوم الأول وتعرف على جميع الزملاء والزميلات وعبد الغنى الفراش ومحمد عطية المراسلة والشيخ على ومدام فافى سكرتيرة الريس الكبير. كانت أنثى بحق.

ولذلك كان الجميع يدللها وهى تدلل الريس على رأس هذا الجهاز الضخم.

وجاء موعد الانصراف، فإذا الجميع يهرول نحو باص قديم لخط جسر السويس فطلب من السائق الركوب حتى تنتهى إجراءاته، وكان ناجى مهذبا يحرص على علاقته بالجميع لأنه لم يُثبت بعد كما كان يكره رئيسه المباشر عم عزت اللى واكلها والعة. بنزين وكوبونات وقطع غيار وتكهين. هيصة يابا وصاحبها نايم.

هكذا كانت أحوال الحكومة والأجهزة التابعة والقطاع العام .

أثناء غيابه خارج البلاد تمت خطبة أخته الصغرى بعد أن قرأ الفاتحة مع خاله الذى يقيم عنده الآن على ابنه الذى يعمل فى مستحضرات التجميل وكل مايخص النساء.

وما إن وصل الباص للميدان اتصل بخطيب أخته وأرغمه على ترك العمل للبحث معه على شقة صغيرة أو غرفة بالمنافع. فكان يقدس الخصوصية دائما.

ووجد غرفة فى إحدى الشقق المجاورة لمنزل خاله مشتركة مع آخرين. لم تعجبه فى الوهلة الأولى لكن أقنعه ابن خاله أنها مناسبة حتى يجد فرصة أفضل إذ هو فى حاجة دائمة للاستقرار.

تم الاتفاق ودفع المطلوب رغم المغالاة الشديدة والاستغلال.

استقل سيارة العمل صباح اليوم التالى واستقبله الجميع بود وترحاب. وأصبح على عاتقه تطوير الإدارة التى يعمل بها وتجهيزها للعمل بنظام الحاسب الآلى وعنها كتب المذكرات والتوصيات وخطط كيف يكون العمل فى المستقبل.

وبعد الانتهاء من تلك التجهيزات عينه رئيس الجهاز عضوا ماليا وفنيا فى لجنة المناقصات التى تبت فى تلك الأمور.

وفى الجلسة شعر بأن اتجاه الجميع ترسية التوريد على شركة بعينها رغم ارتفاع الأسعار بشكل جنونى ودفع بعدم أحقية المورد لذلك لوجود عروض أفضل وبأسعار أقل ومواصفات أحدث.

لكنه قوبل بثورة من مديره على هذا التصرف فتم تحييده عن اللجنة وتم الشراء بالفعل.

غضب منه الجميع وأكثرهم رئيس الجهاز والمدير المالى وأصبح فى معركة دون أن يفهم أنه أمام إحدى شبكات الفساد.

مرت الأيام والتحرشات تزيد والتعسف بات واضحا من رئيسه المباشر الشيخ على بسبب التدخين داخل المكتب وعلى أشياء تافهة كلما مرت بذاكرته شعر بضلال هؤلاء.

استمرت الحرب ضده من الجميع، وتم نقله لإدارة أخرى وملاحقته بالجزاءات رغم أنه من أكفأ العاملين حسب التقارير السنوية.

عرض المشكلة على صديق له يعمل بالقاهرة كان له زمالة وصداقة قديمة أيام الجامعة.

فقال لة وبإصرار: ما رأيك أن تستقيل ونقيم مشروعا مشتركا كما فعل أخى الأكبر؟ هو فى روسيا الآن ويحيا حياة الأمراء بسبب تجارته فى السيارات وقطع الغيار خصوصا أنه أرسيت عليه عملية توريد لمجلس الوزراء لسيارات جديدة وهو موزع معتمد الآن. لدينا عروض بتوكيل لسيارة صينية جديدة والسوق مفتوح للجميع.

ثقبت كلمات صاحبة رأسه، ووافق بشرط أن يكون هو المدير المالى لخبرته الطويلة فى تلك الأمور. وعرضا الأمر على صاحب الوكالة الرئيسية والمقيم فى أفخر الفنادق

دائما تاركا زوجته وأولاده لجحيم المصاريف والدراسة فى إحدى القرى.

فأوصى أن يقوما أولا بتستيف أوراق الشركة القديمة وتحصيل المديونيات لدى العملاء وإنهاء ملف الشركة ضريبيا لأنه يفكر فى اعتزال العمل. ليتفرغ لملذاته من خمر ونساء ومخدرات وكوكايين وغيرها من المدمرات المبكيات.

بالتأكيد هو لم يصرح بذلك، لكنهما وافقا وبدأ كل منهما دوره بالتحديد وفى غضون أشهر قليلة تم تنفيذ المطلوب وتم بيع المقر بعد تسريح بعض العاملين.

عاد حسن لعمله وقطع إجازته التى أخذها بدون راتب ليحاول مرة أخرى قبل أن يذهب لطريق الملايين حسب زعم صاحبه.

مناوشات ومحاولات دون أى تقدم.

تقدم بشكواه للرقابة الإدارية وتم حفظها وكذلك للنيابة وآخرها لمكتب الوزير التابع لة جهة عمله.

بعد أسبوع تم استدعاء رئيس مجلس الإدارة وكبار معاونيه لمكتب الوزارة للتحقيق. وفور أن سمع صاحبنا الرئيس الخبر سقط مغشيا عليه فى مكتبه. تم نقله لمستشفى جامعى قريب وعلى نفقة الدولة. إلى أن استقرت حالته. وذهب إليه حسن حاملا الورود لزيارته. فنطق أخيرا :

— سامحنى ياحسن أنا ظلمتك.

ثم نطق الشهادتين إلى مثواة الأخير.

لكن لم يتنه الفساد بعد من المؤسسة.

عادت من جديد أمواج عاتية من التحرشات والتعسف بحسن إلى أن تقدم باستقالته مرغما، فهو لا يستطيع أن يعيش وسط أكوام الفساد وأراذل البشر.

أبلغ صاحبه على الفور بخبر استقالته وفرح كثيرا بذلك. إلى أن أتما إجراءات شركتهما الجديدة ومقرها فى مدينة الجيزة بأحد الأحياء الراقية لزوم الوجاهة التى قد يتطلبها العمل فى البزنس والتوكيلات التجارية.

بدأ الجميع العمل بجد ونشاط، والكل يقوم بدوره كما ينبغى، إلا أن شريكه وصاحبه قد اغتر بوسامته وأصبح يجرى خلف النساء حتى أصيب بأعراض مرض الإيدز وأصبح الاشتباه أمرا لا شك فيه. وكان حسن دائما يؤنبه على تركه زوجته الجميلة الرائعة والتى شهد لهما بالإخلاص والحب قبل زواجهما. إلا أن زيادة بعض المال مع بعض الأشخاص قد تكون وبالا عليهم.

أثبتت التحاليل بإصابة صاحبة بالفيرس وأصبحت حالته النفسية صعبة للغاية خصوصا مع ظهور المرض وعدم إمكانية علاجه. إلا أن بعض الأطباء قرر أنه يمكنه التعايش مع المرض شرط ألا يقترب من زوجته أو أى أحد جنسيا.

عندها همس حسن إلى نفسه وسألها:

— ماذا يحدث لى؟ كلما استقرت الأحوال عادت إلى الأسوأ دائما. ماذا يحدث لى؟

هل أتخلى عن صديقى وأترك أعمالى بعد أن اقترضت من البنوك من أجل المشروع. وماذا أفعل بعد أن تقدمت باستقالتى من الحكومة؟

أسئلة كثيرة لم يجد أى إجابة لها فى تلك الظروف.

دامت الأحوال فترة ليست بالبعيدة واستأجر حسن شقة مجاورة لمقر شركتهم، وظلت صاحبة المنزل تراوده ليل نهار وتفتح عليه باب شقته ليلا وهو نائم متحلية بأفخر الملابس الداخلية ومتعطرة بأنعم الروائح.

وانخرط هو أيضا فى هذا الطريق بعد أن كان يلوم صاحبه ولكن له العذر دائما فهو غير متزوج. هكذا كان شيطانه يوحى إليه.

الشركة على وشك الإفلاس.

زوجة صاحبه أقامت دعوى الطلاق ثم الخلع بسبب مرضه، وانتقاما منه لخيانته لها على مدار سنوات، وسيدة منزل حسن كانت تحصد منه الأموال دائما فهى لا تصدق أن

تلك أموال للبنوك ولا يجوز التصرف فيها إلا فى المشروعات والعمل. كانت ليلى أمية جاهلة لا يهمها إلا المال. فقد أرسلت زوجها للكويت ليجمع الكثير والكثير وهى تصرف على ملذاتها وعلى الشباب الفتى القوى جنسيا لتروى ظمأها دائما ولا تشبع.

وهرب صاحبه إلى ليبيا ووجد حسن نفسه فى المواجهة مع البنوك والديون. فكان يصبر نفسه دائما بأن البلد حبلى بالفساد وهو ليس أول ولا آخر شخص يقترض ويهرب. إنها عزبة كبيرة. وقد دفع الكثير قبل أن يحصل على القرض للموظفين وكبار المسئولين.

اختنق الحبل على رقبته وتخلى عنه الجميع حتى ليلى صاحبة المنزل بعد أن فضح أمرهما مع أخ لزوجها المقيم بالكويت ليستنجد به أن يعود لزوجته وابنته، دون أى اهتمام منه.

فترك كل شئ: المكتب والشركة وشقته عند ليلاه الخمرية التى لا تشبع أبدا لا أموالا ولا غراما وعشقا.

ذهب لأحد الميادين. لا يحمل أى شئ، معه بعض الجنيهات، جلس على إحدى المحطات كأنه ينتظر الركوب، وجد رجال المباحث وآخرين. اقترب منه رجل فى الأربعين وقال : هل تنتظر أحدا؟

وأجابة على استحياء:

— الحقيقة فلوسى ضاعت وأنا غريب وسأقضى الليلة على المقهى أو على المحطة.

فقال : وليه كده. بيتى تحت أمرك. أنا ساكن فى الزاوية. قريب يعنى. تلاقيك تعبان وجعان. أنا هاعمل معاك الواجب والصح.

لم يجد حسن مفرا من قبول العرض خوفا من رجال المباحث والأشرار فى ليل القاهرة.

استقلا الميكروباس معا. دفع رفيقه الأجرة. وصلا للمنزل أخيرا.

حسن منهك القوى وجائع. قدم إليه الأخير بعض اللقيمات التى لا تسمن من جوع وحمد الله وفى نفسه : بكرة يحلها الحلال.

كان بالغرفة سرير واحد ولكنه كان كبيرا فارتمى عليه. وبعد دقائق وهو على وشك النعاس شعر بيد خشنة تمتد إلى جسمه وإلى عضوه الذكرى شيئا فشيئا. فابتعد قليلا. ثم كلمه الرفيق:

— لا تغضب منى فهذه مشكلتى، أنا أريدك أن تمتعنى هذه الليلة ويمكنك الإقامة معى حتى تنتهى مشكلتك. وبصراحة مستحيل تخرج من هنا قبل أن تنفذ ما أقول. وأشار بيده على سكين أعلى المنضدة. استجاب حسن للأمر واستجمع قواه وقذف الرجل بأقوى مايمكنه مما جعل الأخير يصرخ ويتأوه حتى اكتفى.

بدأ التعب يظهر على حسن والإعياء فحاول النوم لكنه خائف أيضا.

وإذا بالرجل مرة أخرى يخلع سروال حسن ويحاول أن يرد الكيلة لحسن، وانتبه حسن وفر مذعورا والتقط ملابسه على عجل وبصوت عال:

— والله إذا تعرضت لى سأفضحك فى الشارع والمنزل اتركنى أذهب. افتح الباب. المفتاح

خاف الرجل من عنف حسن وفتح له الباب بسرعة شديدة قائلا:

— غور إنت مش وش سعد.

أخذت تلك الكلمات تتردد فى أذنى حسن حتى وصل إلى الميدان وعنده جلس على أحد الأرائك المحطمة البالية فى المحطة القديمة.

استجمع قواه واستغفر ربه متذكرا حديث رسوله صلى الله علية وسلم: «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان». وعاد والتزم طلب العفو والمغفرة.

ارتكن إلى ركن بعيد حتى تفتح أبواب المساجد لصلاة الفجر وأفاق من غفوته على صوت المؤذن. الله أكبر الله أكبر حى على الصلاة. ذهب مسرعا وسأل الخادم عن مياه ساخنة للاغتسال من ورطته، فرد عليه قائلا: كمان عايز سخان. ارحمنا يارب! وعاد لحجرته تحت المنبر. اضطر للتحمم بالمياه الباردة فى الصقيع وتوضأ وذهب ليلحق بالمصلين وملابسه مبتلة وهيئته معتلة.

أكمل صلاته وتسبيحه ودعواته لله عز وجل أن يهديه لطريق الخير والحق، وأن يعود لسيرته الأولى فى عمل متمنيا زوجة وبيتا وأسرة.

حتى جنيهاته القليلة ضاعت وسقطت من بنطاله عند هذا الشاذ ولا يجرؤ بالتأكيد على العودة ويكفى أنة أفلت بنفسه.

بدأت الحياة تدب فى الشارع فاقترب من عربة الفول وسأل صاحبها العمل معه إلا أنه اعتذر بلباقة وأصر على تناوله الإفطار لديه. قائلا :

— متكسفنيش دى ساعة صبحية.

وألقى إليه طبقا من الفول والسلاطة الحمراء وبعض الجرجير وأكمل:

— العيش عندك هناك خد اللى انت عايزه.

التهم حسن الوجبة كاملة مع شعوره الدائم أن هناك من ينظر له وكان يتلفت حوله دائما.

حاول الرحيل عن العربة فى هدوء إلا أن الرجل باغته بكوب من الشاى الساخن. شربه واستجمع قواه الخائرة. وهو يلمح أحد المخابز العتيقة فى حى الظاهر بالقاهرة.

ألقى السلام ثم سألهم عن أى عمل يمكنه القيام به، رحب الرجال ودخل لمساعدة الخباز بالقرب من ماكينة العجين مقابل عشرة جنيهات آخر اليوم.

أكمل يومه دون أن ينطق بكلمة حتى أنه رفض الحديث عن نفسه مطلقا، وأخذ أجره المتفق عليها واتصل بإحدى

شـقيقاته المقيمـة بالقـرب منـه ليحكـى لهـا. إلا أنهـا بادرتـه بقولهـا:

— أنـا زعلانـة مـع المخفـى علـى عينـه جـوزى والعيشـة بقـت جحيـم ولا عنـدى فلـوس أسـاعدك ولا عندى مـكان تنام فيه.

فأغلق الهاتف فى وجهها من هول صدمته.

ذهـب إلى لوكانـدة بشـارع كلـوت بيـك العتيق وسـأل عن غرفة مسـتقلة. ثـم تأكـد أنـه لا يسـتطيع ذلك فقـال له صاحـب المكان:

— عنـدى غرفـة مشـتركة تلـت سـراير وتدفـع سـتة جنيـه فـى ا لليلة.

فتكلم حسن أخيرا :

– عشـان خاطـرى يـا معلـم أنـا كل اللـى معايـا عشـرة جنيه، ومـش عـارف ظروفـى أنام هنـا ع الكنبـة فى المدخـل وأدفع تلاتة جنيـه، أو هاقـول لـك علـى حاجـة حلوة ممكـن أشـتغل معاك أو أعمـل لـك أى حاجـة، نضافـة مسـح غسـيل، اللـى تؤمـر بيـه.

فوافق الرجل وقال:

— خلاص مش عايز منك فلوس كل اللى عايزه تنام على البوابة ولما ييجى زباين تاخد البطايق وتسجلها والفلوس تحطها فى الدرج لغاية الصبح.

انتبه حسن لحاله ووضع حقيبته خلف المكتب وجلس مكان الرجل واستمرت الأيام والشهور وهو على تلك الحال حتى جاء تفتيش من الداخلية على الزوار وأيضا من وزارة الصحة وأثنوا على طريقة عمله وتنظيمه للمسائل إلا أن هناك ضابطا متكبرا أهانه أمام الجميع بسؤاله عن أوراقه وبلدته التى حضر منها وأمعن فى التدقيق فارتجف حسن وظهرت عليه علامات القلق.

استنجد بصاحب اللوكاندة أن يخلصه من قبضة الضابط دون جدوى، فقط سمعه يقول بغل وكراهية شديدين :

— هتشرفنا فى القسم شوية نفحصك وكمان نفعصك.

وضحك الجميع إلا بطلنا المسكين.

ركب سيارة الشرطة متجهين لقسم الأزبكية بوسط القاهرة وعليها حراسة شديدة وكأنهم هددوا أمن الدولة بأعمال إرهابية وتجسس.

المخبر ١ : انزل يلا انتَ وهو ياولاد الدايخة.

المخبر ٢ : يلا هتشوفوا ليلة سودا بإذن واحد أحد اجرى منك له.

كانت هناك أعداد كبيرة من الناس أمام القسم والكل يسعى لمعرفة تهمة قريبه أو صاحبه المقبوض عليه. هالة وأفجعه المنظر فلم يعتد عليه يوما من الأيام.

فى داخل القسم الضابط المتكبر يشير بيده:

— ارميهم فى الحجز يا متولى عندى ضيوف مهمين.

والتفت قائلا:

— أهلا يا هانم أخبارك إيه منورة القسم كله. تعالى فى المكتب ياأهلا وسهلا وسعادة الباشا عامل إيه؟ يا مرحبا. فين قهوة الهانم يلا. بسرعة.

فى مكتبه:

— خير أمال مالك عندك مشكلة حد حصل له حاجة؟

آمال: أبدا أنا كنت قريبة من القسم وحشتنى قلت آجى اشوفك، من يوم آخر ليلة وماحدش سمع عنك خبر ولا حتى تلفون تطمن علىَّ.

الضابط: بصراحة أنا كنت خايف جوزك ياخد خبر بعلاقتنا وتبقى مشكلة وإنتِ عارفة تفتيش الداخلية والإشاعات كل شوية.

ودق باب مكتبه من أحد المخبرين ومعه حسن وهو يقول بصوت عال:

الـواد ده ياباشـا بيقـول إنـه مـش داخـل حجـز ومعنـدوش أى حاجـة يخـاف عليهـا وبيقـول قريبـه صحفـى وهيقلـب الدنيا.

الضابط وهو يضحك بصوت عال: ابن أكابر حضرتك.

وعندمـا رأتـه آمـال وهـو فـى حالـة مزريـة وقالـت : معقولـة ده حسـن يـاه ع الأيـام ده عشـرة أربـع سـنين فـى الجامعـة. ده طيـب جـدا وعمـره مـا أذى نملـة. إزاى كـده؟

حسـن ينظـر إليهـا بتعجـب لعلـه يتذكرهـا وفـى قـرارة نفسـه قـال: مـش مهـم تعرفنـى ولا متعرفنيـش أخـرج والسـلام.

آمـال : إنـت مـش فاكرنـى ياحسـن؟ أنـا آمـال أسـرة السـلام الثقافيـة زميلتك.

وعندها تذكر وتنفس بصعوبة. لكنه لم يتحدث.

آمـال موجهـة الـكلام للضابـط: عنـده إيـه؟ بـص لـو بتعزنـى صحيـح خرجـه حـالا وفـورا.

الضابط: حاضر ياستى خد بطاقتك. أنت ربنا رحمك منى واحمد ربنا عشان الهانم موجودة.

آمال : خد يا حسن ده تليفونى وأى حاجة تكلمنى، أى حاجة أى حاجة أرجوك.

أخذ حسن الورقة وبطاقته وفر مسرعا من القسم.

واتجه إلى حيث لا يدرى.

تذكر حقيبته فى اللوكاندة وأيضا ليوبخ صاحبها بعد تخليه عنه فى هذا الظرف.

قابله صاحب المكان وقال له:

— سامحنى الناس دى مايقدرش عليها إلا ربنا. عالم مفترية. هيتعبونى فى شغلى وانت عارف. سامحنى ياابنى. وآدى شنطتك. وحسابك خالص ومع ألف مليون سلامة. ربنا معاك.

الفصل الأخير

خـرج بحقيبتـه الباليـة مـن فعـل الرطوبـة بالمـكان، والـذى كاد أن يـأكل عظامـه. وذهـب إلى أحـد الأكشـاك المنتشـرة علـى ناصيـة كلـوت بيـك حيـث أجهـزة الموبايـل للاتصـال بزميلتـه آمـال التـى أخرجتـه مـن القسـم. ولم يكـن فـى جيبه سـوى ثلاثة جنيهـات محـاولا أن ينقـذه القـدر مـن الفلـس ويسـتنجد بهـا.

— ألو. ألو. أنا حسن ياآمال قلت لى أكلمك.

آمـال : أهـلا حسـن ماعلـش أنـا مشـغولة شـوية وإنـت عارف إنـى سـت متجـوزة وزوجـى يغـار علـىَّ بشـدة. أنـا آسـفة جـدا سـاعدتك تخـرج مـن هنـاك ودى طاقتـى دلوقتـى. سـامحنى.

أغلق الموبايل بسرعة قبل أن يتخطى الدقيقة الثانية وبرغم ذلك تم سرقته بالفعل فى عدد الدقائق. أعطاه ما فى جيبه وراح يجلس فى جزيرة الميدان كالعادة ويفكر ماذا يفعل؟

وقبل انتهاء الساعة وهو فى غفوته أفاق على أحد الأشخاص يفزعه بالخروج من المكان من أجل أن يفرش بضاعته وظهرت عليه علامات البلطجة والتشرد. نعم فهو من أبناء الميدان الأسطورى.

ذهب يتحرك يمينا ويسارا يبحث عن أى طعام ولمح على البعد رغيفا مرميا على الأرض. حاول التقاطه مسرعا لكن كلبا سبقه إلى ذلك.

هنا فاضت عيناه بالبكاء وهو مكلوم.

ذهب إلى سوق المستعمل القريب لبيع بعض ملابسه ورأى الجشع والطمع من الجميع وأسلم أمره إلى الله.

هنا تجمع لديه بعض الجنيهات الوفيرة لطعامه. وما إن انتهى توجه إلى محطة القطار قاصدا الإسكندرية حيث

بعض الصداقات القديمة وبعض الآمال الجديدة فى فرصة عمل وسكن واستقرار.

وصل محطة المنشية فجرا وجلس حتى أشرق الصباح ثم ذهب لوائل منسى فقد كان صديقه فى أوروبا لفترة ليست بالقليلة.

تقابلا وعلم كل منهما موقف الآخر من العيش بمصر ودبر له إقامة معقولة وذهب به صباح اليوم التالى لمصنع للألمونيوم بمنطقة الجمرك. كى يعمل مساعدا بشكل مؤقت لحين تدبير الأحوال.

وبحمد الله تم ترسية إحدى القواعد العسكرية وأعمال التشطيبات للشركة التى يعمل بها وأسند إليه الإشراف على الموقع بعد ظهوره بمستوى مرضٍ لإدارة الشركة.

وبعدها تحمل الكثير فى هذا العمل لدرجة أن شدة الرياح كانت تقتلع قدميه من الطريق. انتهت العملية وادخر مبلغا لا بأس به. وعاد للقاهرة مرة أخرى.

استأجر إحدى الورش المجهزة بحمام داخلى وغرفة للمبيت فى أحد المناطق الصناعية بالقرب من إحدى أخواته بالقاهرة.

وذات يوم عند باب المحل. إذ بامرأة منتقبة تسأله؟

— هو حضرتك حسن اللى كلمتنى عنك الحاجة ميرفت؟

— أيوه أنا.

— طب والنبى مش عارفة أفتح باب العيادة خايفة الدكتور ييجى والمرضى والباب مقفول. لو تسمح افتح لى الباب وأول الدكتور ييجى هيحاسبك على طول.

— ماشى ياحاجة بس فين العيادة؟

— تعالى معايا وراك هنا طوالى بس تعالى تعالى.

وكادت أن تشده من يديه وهى تقول:

الحاجة ميرفت بتشكر فيك قوى وبتقول أخلاقك عالية ومؤدب ومحترم.

حسن : الله يخليكِ ده بس من ذوقك.

هى : طب ولادك فين ومراتك؟ سامعة إنك بتنام فى المحل.

حسن : أمر الله. ربنا يسهل ونلاقى بنت الحلال ونتلم ف بيت ونستقر. تعبنا والله .

وهو يعمل بكلتا يديه وفتح الباب وأدخلها وهى تصمم على شربه الشاى أو القهوة وعلى مضض وافق على استضافتها.

تحدثا وتحدثت هى أكثر وقالت :

— منهم لله اللى جابونى للمرمطة دى. أنا موظفة محترمة فى حى الخليفة وبآجى العيادة بس تضييع وقت بدلا من قعدتى وحدى بعد الشغل. طلقنى ورمانى نص الليل الله لا يسامحه ونفسى أشوف ولادى مش عارفة. وأهلى مقاطعنى. مش عارف أعمل إيه لوحدى، ولولا نصيبى من ميراث أبويا واللى أخدت نصه كان زمانى فى الشارع. شوف بقى واحدة ست فى الشارع ممكن يحصل لها إيه؟

وأجهشت بالبكاء وهو يربت على كتفها:

— صلى ع النبى.

بل قبلها فوق رأسها لتسكت قبل أن يأتى أى أحد وتنشأ مشكلة لا يعلمها إلا الله.

وانصرف مسرعا.

بعد ثلاثة أيام تقريبا وجدها تنتظره مرة أخرى وقد عرف اسمها من الحاجة ميرفت، فقد حكت له عنها متأثرة جدا بحالتها، وكانت تتمنى أن تتزوج ليؤنس زوجها وحشتها.

— أهلا مدام وفاء. خير

وفاء: ماعلش هاتقل عليك عندى مشكلة فى البيت ومش لاقية حد وماحبش حد غريب يدخل بيتى وأنا لوحدى. دولاب المطبخ وقع وحاجات تانية كتيرة. شوف حسب وقتك.

حسن : تمام هاجى لك بعد العيادة إن شاء الله.

وفاء: أنا هعدى عليك آخدك ونطلع سوا ماعلش الدور الخامس والأسانسير عطلان وأنت ماشاء الله لسة شباب.

حسن: ولا يهمك فى انتظارك.

وبعد أن ذهبت بدأ يفكر فى تلك السيدة. ماذا تريد؟ وهل تناسبنى؟ هى متزوجة من قبل ومطلقة. هل سيشمت بى الجميع لو تزوجتها؟

وفى العاشرة مساء سمع صوتها تنادية من بعيد. أنا طالعة فوق ياريت تحصلنى بسرعة. وأغلق حسن باب محله على عجل ولحق بها على السلم وأخذ ما كانت تحمله من أثقال. وشكرته على ذلك ثم قالت بصوتها المبحوح من تعبها لصعود السلم. فقد كانت ف الأربعين من عمرها:

— أنا كنت باتمنى طول عمرى واحد شهم يشيل عنى كل أحمال الدنيا. باين كده ربنا استجاب لدعائى.

ضاحكة مستبشرة.

فتحت وفاء باب الشقة وهى متعبة وبعد أن دخلت ارتمت على الكنبة التى تجاور الباب مباشرة.

فهمهم حسن بصوت خفيض:

— واضح إنك تعبانة بجد.

وفاء: نشرب حاجة الأول ولا انت جعان عندى أكل جاهز هيعجبك عارفة إنك محروم من الأكل البيتى وحاجات تانية. يا صبرك!

— لا كفاية أشرب شاى وفين الشغل فى المطبخ برضة. صح.

وفاء: تعالى تعالى بلاش تعقيد.

وبدأ العمل وهى تجهز كوبا من الشاى واحتك بها واحتكت به. المكان ضيق. هل هى تقصد ذلك؟

لم يتمالك حسن عند تلك اللحظة وضمها من خلفها واطبق عليها حتى التصقا تماما وهو يلعب فى أذنيها ويقبلها فى رقبتها رن جرس الباب.

— ياه إيه الغلاسة دى؟

حسن: بصراحة جه فى معاده كنا هنتهور أكتر.

تمالكت نفسها وفتحت الباب إذا بجارتها فى الشقة المقابلة أم مايكل:

- خير ياأم أحمد أنا سمعت خبط ورقع عندك.

- أهلا حبيبتى. أبدا ده حسن النجار بيصلح لى المطبخ لو عايزاه فى حاجة أبعته لك لما يخلص.

- لا يااختى ده أبو مايكل بيعمل كل حاجة. سلام سلام.

وعادت لحسن وقد هدأ وبردت عروقه وانتهى من عمله بسرعة كى يخرج مسرعا قبل أن تقع الفاس فى الراس.

حسن: كله تمام كدة وأى حاجة تانية بعدين بعدين. ..

قال ذلك بتوتر واضح.

وفاء: لا لسة بدرى طب أقعد معايا نتكلم شوية أنا زهقانة.

وجلس حسن ومشاعره تؤنبه وتؤججه.

حسن : بصى أنا هاجيب م الآخر. إنت عايشة لوحدك وتعبانة وأنا كمان. مش هاقدر ألمسك قبل ماتكونى مراتى ماليش فى البطال ولا باحب الشمال.

وفاء: موافقة طبعا. أنا هالاقى حد فى حنيتك ياحسن ورجولتك وشهامتك. بس أهلى ممكن يعاكسوا وأنا هاكلم أخويا حالا ييجى.

ودخلت غرفة نومها وأغلقت الباب لتحدث أخيها فى الأمر وخرجت بعد دقائق قليلة شاحبة حزينة.

حسن : متزعليش نفسك. ماحدش فاضى لحد ولا حد هيحس بحد. إخواتى كده برضه. عندك ورقة وقلم؟

وفاء : خير هتكتب إيه؟

حسن : هاتى بس الورق والقلم.

كتب حسن عقد زواج عرفى. واتفقا على العهد والإخلاص ووقعا عليه.

عـادت الابتسـامة لوجـه وفـاء وحسـن أيضـا وبـدآ بالفعـل مراسـم الـزواج والمعاشـرة.

جرتـه للحمـام واغتسـلا معـا باسـتمتاع وأهدتـه جلبابـا أبيـض جميـلا وملابـس داخليـة كانـت أحضرتهـا لأخيهـا أثنـاء ذهابهـا للعمـرة العـام الماضى.

وكانـت ليلـة مثمـرة وغنيـة بمشـاعر الشـوق والحنـين والغـرام بعـد أن قـذف بهـا وقذفـت بـه أمواجـا مـن الرحيـق العـذب.

نامـا ليلتهمـا بعـد أن أكلا وشـربا وضحـكا واستسـلما للنـوم بقلـوب راضيـة.

عند نزول حسن صباحا قال لها :

— رتبـى أحوالـك ولابـد مـن إعـلان الجـيران وأهلـك بأننـا تزوجنـا علـى سـنة الله ورسـوله وإن أرادا توثيـق العقـد لا مانـع عنـدى.

وفـاء : طبعـا حسـنوتى أنـا ناويـة أعمـل كـدة برضـه عشـان تيجـى تعيـش معايـا براحتـك وتدفـع عنـى الإيجـار والمصاريـف

مش جوزى برضه وراجلى وسندى. بس بلاش توثيق العقد دلوقتى. خليها لظروفها.

حسن : اللى تحبيه ياروحى.

وقبلها على جبينها واحتضنها وهو يودعها.

بعد اسبوع علمت العائلتان بالخبر. فمنهم من فرح ومنهم من حزن. ولا جدوى من ذلك حسب قناعة حسن ووفاء . وامتدت الأيام والشهور وهم فى أسعد الأحوال، يحاول حسن استكمال الأثاث المتبقى فى الشقة وأيضا دهان الحوائط وغيرها من الكماليات وهو سعيد وهى أيضا. شعرت أخيرا أنها لأول مرت أحبت رجلا.

أثناء تلك الحياة المفعمة بالود والحنان رن هاتف المنزل.

— أيوة يا ماما. انتِ واحشانى جدا وألف ألف مبروك. سماح تقول .

وفاء : ازيك يابنتى ياحبيبتى الله يبارك فيكِ وعقبالك ياسكرة أنا مبسوطة لأنك سألتِ عنى أخيرا .

سماح : أبدا ياماما انتِ عارفة بابا وعمايله وعموما أنا جاية أقعد عندك شوية عندى دورات بالقاهرة ومش هاقدر أروح عند غادة لأن جوزها غتت ومش باحبه.

وفاء. أهلا وسهلا طبعا. ده حتى عمك حسن هيفرح قوى. خدى كلميه.

وألقت السماعة لحسن دون سابق تنبيه.

حسن : أهلا وسهلا يابنتى دى مفاجأة فعلا. تآنسى وتنورى ده بيتك طبعا.

سماح : بجد بجد أنا فرحانة قوى. شكرا ليك يا عمو.

وأغلقت الهاتف.

بعد بضعة أيام هربت سماح من منزل أبيها فى إحدى قرى المنوفية واتصلت بوفاء أمها وعلى الفور استعد حسن وذهب مسرعا ليحضرها من المحطة وانتظر كثيرا والقلق يتزايد بين اتصالات أختها وأمها. لدرجة أن والدها تحدث

إليه دون سابق معرفة وطمأنه عليها وأكد له أنها مثل ابنته تماما.

أخيرا التقى حسن سماح مضطربة باكية من غرابة الموقف الآن. طمأنها وربت على كتفها. جميلة رائعة واعدة فقبلته واحتضنته بشدة من فرط رهافة حسه وشعوره. وانطلقا عائدين للمنزل حيث وفاء وأختها. البكاء حاضر المشهد فترك لهما حسن المكان ليصفو لهما العتاب والعناق وغيره من الأمور العائلية.

ذات مساء عاد حسن مبكرا للمنزل على أثر نوبة برد ألمت به فاستقبلته سماح بملابسها الشفافة بقبلة على جبينه.

— أهلا أهلا يا عمو.

حسن : أمال فين ماما؟

سماح : عند غادة أختى. اتخانقت هى وإيهاب تانى. براحتها. أنا نفسى أتكلم معاك. أنا حاسة انك هتفهمنى غير بابا وأمى واضح أنك مثقف وواعى.

حسن : خير يابنتى؟!

سماح : شوف بقى ياأبو على م الآخر كدة أنا عايز اشتغل مذيعة والدورة دى عشان كدة وأنا عرفت أنك ممكن تساعدنى.

حسن : طبعا أنا مش هتأخر على قد ما أقدر.

فى اليوم التالى ذهب حسن فرحا مسرورا لسور الأزبكية واشترى مجموعة من الكتب والأسطوانات التى تخص كل اهتمامات سماح وكأنها ابنته بالفعل.

فرحت سماح كثيرا وشكرته وأيضا زوجته وفاء.

فبادرهم حسن بقولته الشهيرة:

- المهم ألا تقدمى على أى عمل دون علمى أو توقعى عقودا أو اتفاقات بمفردك.

وأشار إلى وفاء:

— وهذه أمك تشاركنى أيضا فى هذا الاتجاه.

موبايل حسن يدق بالمحل.

وفاء : أنا خارجة أنا وسماح رايحين مشوار لزيارة واحدة صاحبتها، وممكن نتأخر شوية مش تقلق.

حسن : بألف سلامة وطمنونا وبرضه بلاش تتأخروا.

الثانية عشر مساء. ينتظر حسن فى مدخل العمارة. كل الهواتف مغلقة. وفجأة تقف سيارة وتنزل وفاء بدون نقابها المعتاد ومعها سماح على أصوات وضحكات أسمعت الجميع. استغرب كثيرا ووقف مذهولا.

عندما رأته وفاء غطت وجهها مسرعة لتخفى الماكياج والمساحيق والروج الأحمر فاقع اللون .

سماح : معلش يا عمو اتأخرنا شوية. دة زميلى وأصر يوصلنا.

وبعد صعودهم للشقة.

وفاء. بصراحة كنا فى فرح وكان لازم أكشف وشى وأنت عارف الحريم وعمايلهم ياأبو على. معلش أنا آسفة آسفة.

سماح : عادى ياماما عادى. ياريت تقلعى النقاب خالص. وأنا بصراحة لازم أقول لعمو الحقيقة. بص ياأبو على : دة محمد حسن المخرج المشهور فى راديو أف أم. وأنا كتبت عقد معاه وكان الوقت ضيق ومعرفتش أتصل بيك وكانت أمى معايا بأى حال. هه هتقول مبروك ولا زعلان ياأبو على.

حسن والغصة فى حلقه :

— طبعا ألف مبروك. لكن وجودك فى البيت له أصوله وضوابطه أنا وعدت والدك بكده. وأنا وأمك كنا مرتاحين بصراحة قبل ماتيجى. ومنعا للمشاكل انتِ حرة ف حياتك لكن فى بيتك. أنا لىَّ اسم فى المنطقة ومعروف

عنـى الحكمـة والوقـار وأكيد هيسـألونى مـين دى وليه بتلبس محـزق وملـزق ومـين اللـى بيوصلهـا كل يـوم وش الفجـر.

مستكملا :

- بصـى يـا بنتـى. أرجـوكِ ياريـت ماتعمليـش مشـاكل بينـى وبـين أمـك الغلبانـة.

سماح ترفع صوتها لأول مرة وتظهر وجهها الحقيقى:

- لا اسمـع بقـى ياعمنـا. ده بيتنـا وبيتـى أنـا كمـان. انـت اللـى ضيـف هنـا. ولـو سمحـت مـش تتدخـل فـى حياتـى. عايـز تعيـش معانـا أهـلا وسـهلا. مـش عايـز. انـت حـر .وتقـف وفـاء حائـرة فـى صـراع لم تشـهده مـن قبـل بـين حبيبهـا وزوجهـا التـى انتظرتـه سـنوات وبـين ابنتهـا المدللة الجميلـة والتـى تعدهـا دائمـا بانفراجـة قريبـة فـى الحيـاة.

حسن موجها صوته المتألم لوفاء:

- إيه رأيك يا حاجة فى اللى بتقوله بنتك؟

لم ترد أبدا أبدا ودخلت غرفتها باكية تبحر فى دموع الصراع.

وقف حسن على باب غرفتها قائلا بأعلى صوت:

— أنت طالق ياوفاء مليون مرة.

وللم بعض الأشياء الخاصة به، وعاد ليكمل ليلته فى المحل حتى يأذن الله بفجر جديد. وجلس يؤنب نفسه تارة، ويكون على أتم القناعة لما فعل مرة أخرى. إنها فعلا ابنة الشيطان ولاسماح فيها، جاءت لتخرب البيت وتطرد السعادة.

بدأ يومه التالى بجد ونشاط كعادته وانشغل بالعمل وأحضرت زوجة البواب حقيبته من شقة مطلقته وفاء وبذلك يكون قد طوى تلك الصفحة بلا رجعة.

عاد يعمل كما تعود على الجد والانضباط حتى فاتح أخته يوما ما أنه يريد الزواج والاستقرار لتبحث له عن خطيبة بين صديقاتها فى العمل.

وأسرعت الأخت بتلبية طلبه دون التحقق من توافر شروطه فى العروس وكانت تتمنى دائما أن يفرح حسن ويرزقه الله بالذرية الصالحة.

جميلة وبعد أن فاتها قطار الزواج ووصل عمرها للتاسع والعشرين وحيدة على خمسة رجال. موظفة. والدها بمركز مرموق. والدتها تقود العائلة الكبيرة باحتراف.

ذهب هو وأخته لرؤية العروس فى منزل أبيها الموظف ذى الرأس الكبير. أعاد تلاوة ظروفه وأحواله المالية أمام الجميع. إذ لم يتحرج من ذلك أبدا. ولكى يبدأ الاتفاق بحسن نية وشروط مقبولة من الطرفين.

فما كان من الأب إلا الموافقة بقولته :

– ياابنى احنا بنشترى راجل وسيماهم فى وجوههم المهم ألا يكون لك أى نشاط سياسى أو علاقة بأى جماعات مثل الإخوان وغيرها، وأتمنى أن تحلق لحيتك فمازلت صغيرا ولا أجد داعيا الآن لها.

علم حسن بعد ذلك أن الرجل كان عضوا فى الحزب الشيوعى المصرى، وأفكاره بعيدة كثيرا عن الاعتدال أيضا خصوصا أن هؤلاء دائما يرددون شعارات وحسب. ولا يهمنا فى تلك الزيجة الانتماءات السياسية أمام طريقه للسعادة والزواج.

اتفق الجميع على موعد الخطبة وقراءة الفاتحة والاتفاق على باقى التفاصيل، ففوجى بأم العروس تطلب منهم أن يعقدوا القران فى ليلة واحدة فى دار الإفتاء حيث يتم استقبال المهنئين هناك بأريحية أكثر والمكان متوفر للجميع.

وقبل الذهاب للدار قام حسن بتوقيع قائمة العفش الذى لم يأت بعد وكانت قيمتها كبيرة جدا. وامتعض حسن وشعر أنه تورط إذ لا طاقة له بذلك خصوصا وأنه لم يتمكن من دراسة الموقف جيدا حتى الآن.

انطلقا العروسان فى سيارة أبيها المحملة بالزينة والورود وتم عقد القران بسلام وأمان دون أية مشكلات تذكر.

كان حسن قد أخذ على عاتقه تدبير منزل الزوجية بعقد بالقانون الجديد فى حى متوسط ويناسب ظروفه المالية ووعد بتاريخ انتهائه من ذلك. إلا أن استعجالهم الدائم وترديد مقولة: إيه عملت إيه يا حسن فى الشقة من أم العروس كادت أن تخطف أنفاسه ضيقا. ويكرر: أنا ملتزم بالموعد لا تقلقى ياحماتى العزيزة.

اتصلت العروس بحسن وأبلغته أن أمها قد أعدت له عشاء فاخرا يليق بهما وأصرت على حضوره. وبعد العشاء بدأ الجميع فى الانصراف الأب للنوم والأخوة للسهر والخروج والأم جلست قليلا تشاهد البرامج السخيفة ثم اتجهت الى غرفة النوم لترافق الرجل.

وانفرد حسن والعروس لأول مرة.

فى إحدى شرفات المنزل العتيق على ضفاف فرع من النيل العظيم بحى المنيل بالقاهرة. كان الجو حالما وهادئا. وأخرج كل منهما ما فى جعبته من أسرار وحكايات وتأخر

الوقت عن موعد انصرافه فعرضت عليه المبيت وأحضرت له جلبابا فضفاضا أقرب للحرير وخلع ملابسه وانخلع وراءها الكسوف والخجل.

جلسا على أريكة الشرفة ملتصقين إلى أن قبلها وقبلته ثم تمكن منها وهى فى غاية الذوبان والتأوه حتى انتصبت جميع أعضائه وحملها على الأريكة بالداخل وأمضيا وقتا طويلا بين الرغبة والغرام والآهات حتى وجد على ملابسه بقعة من الدم.

ففزع حسن وتوقف وحاول الانصراف سريعا. ولكن العروس هدأت من روعه لانتظر حتى الصباح، وكان فى نظرتها ترقب وذهول من موقف حسن وكأنها تنتظر رد الفعل والنتيجة.

وكالعادة أيام تذهب وأيام تأتى بغرائب الأحوال.

كان حفلا للعشاء وفيرا شهيا لذيذا فى منزل العروس، وانصرف الجميع ودخل أمها غرفة نومها. وتبادلا العناق كما الزوجين، وهما بالفعل أزواج لكن فى هذه المرة كانت

مختلفة تلبس قميصا رائعا يبرز مفاتنها وأنوثتها الطاغية أكمل نصف الليل فى غمرة عشقها.

وفجأة دخل وليد أخو العروس متعذرا بأنه يحسبها منفردة لحالها وهنا انقطعت الفكرة وذهبت النشوة وانتصب حسن واقفا وخرج إلى شرفة المنزل.

وعاجلته هى بألا يخاف من أخيها، فهو يحسن تقدير الأمور ولا ضرر فى ذلك.

انتظر حتى الصباح وذهب لعمله وقبل نهاية اليوم بقليل رن هاتفه والمتحدثة ولأول مرة هى حماته الشخصية القوية التى تحكم العائلات بمفردها قائلة :

– تجينى يا حسن النهاردة ضرورى.

حسن بخوف: حاضر هو أنا أقدر أتأخر .

وهو فى الطريق:

— ياترى عرفت حاجة ولا انكشفت المسألة؟ ربنا يستر.

صعد مسرعا يجر قدميه.

السلام عليكم . خير حماتى. أمال فين عروستى ؟

حماتـه : خليـك معايـا الأول وركـز قوى فـى كل اللـى هاقوله.

حسن : حاضر حماتى حاضر.

حماتـه : كان جـدى الله يرحمـه الشـيخ الجـبروت واحـد مـن شـيوخ الصوفيـة الكبـار ولمـا جـه يبنـى البيـت ده ردم علـى الجـن تحتـه ومـن يوميهـا وحـال البنـت متبهـدل ومتعثـر وأنـت عاشـر عريـس ييجـى، والحمـد لله أنـك كتبـت الكتـاب وبقـت مراتـك وممكـن تعيشـوا معايـا هنـا. وعشـان ماتقلقـش. الـدم اللـى شـفته ده مـش دم البـكارة. لأنهـا متزوجـة مـن جـان بسـم الله الرحمـن الرحيـم وباسمـع أيـام كتـير وهـو نايـم معاهـا واحنـا بصراحـة إدينـاك الفرصـة عشـان تقـدر تنهـى المسـألة دى. انـت الوحيـد اللـى قـدرت تكسـره عفـارم عليـك حسـن وليـك عنـدى مكافـأة كبـيرة.

حسـن فـى ذهـول : معقـول الـكلام ده. طـب نـروح لدكتـور يكشـف عليهـا ونتأكـد.

حماتـه فـى لهفـة وتعجـل : رحنـا ياابنـى كتـير وكمـان لدجالـين وسـحرة وكلـه أكـد الـكلام ده. أنـا مـش هاقـدر اضغـط عليـك انـت حـر. لكـن أنـا عشـمانة فـى شـهامتك ورجولتـك. إيـه رأيـك نعلـن الزفـاف ونعمـل فـرح صغـير كـده. وبعدهـا اعمـل اللـى انـت عايـزة.

حسـن : طيـب ادينـى فرصـة بـس ياحماتـى أراجـع نفسـى وبكـرة أرد عليـكِ بـإذن الله.

حسن عند وصوله للأريكة التى ينام عليها بالمحل:

— يعنـى ياربـى أنـا موعـود مـن تلاتـين سـنة بألاعيـب ومداعبـات شـيطانية بنـت جزمـة. أنـا زهقـت. هـو فيـه إيـه؟ هـو فيـه إيـه؟

ويضـرب رأسـه فـى الحائـط المجـاور. حتـى سمـع صـوت الفجـر وهـو فـى غفلتـه الناعسـة. جلـس ثـم نهـض فتوضـأ وخـرج للصـلاة فـى المسـجد المجـاور.

وبعد الصلاة التقى الإمام وحكى له قصته فأشار عليه بأن يستر عرض العروس أيا كانت الأسباب، وأوصاه بأن يصلى الاستخارة قبل قراره.

انصرف الجميع وجلس حسن يناجى ربه ويستخير عبر الركعتين ودعا لنفسه بالهداية والقبول.

اتصل حسن مساء بحماته وطلب منها أن تعلن الزفاف شرط أن يطلقها فى أقرب وقت ممكن. ووافقت بقولها: محدش عارف فيه إيه بكرة. لعله خير.

وفى ليلة الزفاف وقبل أن ينشغل الجميع بملذاته. قبلت العروس قدمى زوجها حسن ممتنة وأقرت وأقسمت بأنها تحبة وتتمنى ألا يتركها أبدا.

حسن يطبطب عليها ويحتضنها منقذا لها من البكاء والمذلة. ويأخذ بيدها لتقف على قدميها قائلا:

— هذا أمر الله ولا راد لقضائه، لكن مع الأسف من الآن أنت طالق. ولن نلتقى أبدا بعد ذلك. وبعد تلاتة أشهر

سأرسل لك ورقتك بعد أن تتنازلوا عن حقوقك فى القائمة والعفش الذى لم يأت بعد. ولكِ فقط فى ذمتى وضميرى نفقة المتعة حسب الشرع والقانون وفى الغالب سيكون مبلغا مجمدا.

استمرت فى البكاء وانهارت وأفاقها وطمأنها بأن فرص الحياة لا تتوقف أبدا.

قامت ثورة يناير، وكادت أن تغير الكثير فى حسن وشباب آخرين فى نفس ظروفه وموقفه من عروسه الأخير. لكن الاحتيال للوصول للسلطة أضاع كل الآمال، ودخول الإخوان من أوسع الأبواب جر مصر لويلات كثيرة لم يعد أحد يتحملها.

وبعد أن تم تعديل مسار الثورة بواسطة نشطاء وطامعى السلطة من أبناء النظام القديم عادت مصر لأسوا ما كانت عليه.

الكل يترقب متى يصل قارب النجاة للجميع.

وفى بوعده ووقع ورقة طلاقها وأرسل مظروفا بالمبلغ المتفق عليه بواسطة خال العروس الذى كان يأمل فى عودة الأمور لنصابها الصحيح.

لكن حسن اسود قلبه وعميت بصيرته وأغلق مصالحه فى مصر، وعاود الهروب والهجرة من جديد فى أوربا الحالة حيث صدق المعاملة والتفانى وتقدير العمل والكفاءة ودولة المدنية والقانون للجميع. لا صراعات. فقط منافسات من أجل التفوق والإبداع.

نودع حسن للمرة الأخيرة.

تمت بحمد الله

الكاتب فى سطور

من مواليد عام ١٩٦١

تخرج فى كلية التجارة جامعة القاهرة عام ١٩٨٤

عمل بالحكومة لفترة لا تتعدى خمسة سنوات

تفرغ للعمل الخاص داخل وخارج مصر ثم عاد لأرض الوطن

بالمجموعة المصرية للتنمية السياحية

لم يتأثر بالضغوط التى مورست لإقصاء الرأى

ساهم فى إعداد قانون الرهن العقارى فى إصدارة الأول

ساهم فى إنشاء مجموعات توعية ثقافية سياسية بعد ثورة يناير

تبنى مع آخرين فكرة إنشاء نقابة للصحفيين والإعلاميين الإلكترونية

ساهم فى العديد من الفعاليات والندوات والصالونات الثقافية

دراسات الأمن الإقتصادى والتنمية

دراسات الخبرة العقارية والتثمين

دراسات الإعلام وفنون الإتصال

عضو الجمعية الوطنية للمصريين

عضو الإتحاد الدولى للصحافة العربية

عضو الجمعية المصرية العربية للثقافة والفنون والإعلام

من أعمالة (الحب فوق هضبة الفيس بوك) مجموعة قصصية

توثيق من خلال مقال يومى (شاهد على الثورة) تحت الطبع

عمل ببعض المواقع الإخبارية والصحف والقنوات بالتحرير وإعداد البرامج

بوابة مصر ١١ / شبكة ماجوجا الإخبارية / جريدة العالم الحر / بوابة العربى اليوم